

المكتبة العربية

دكتور

أحمد عولين



تليفاكس: ٠٣٥٣٥٤٤٣٨ إسكندرية

المكتبة العربية

المكتبة العربية

د. أحمد عوين

كمبيوتر : دار الوفاء

الطباعة : دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

العنوان : ش ملك حفنى ، قبلى السكة الحديد

بجوار مساكن درباله أمام بلوك ٣

الرقم البريدى : ٢١٤١١ فيكتوريا — اسكندرية

رقم الإيداع : ١٦٤٩٤ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولى : 9 - 109 - 327 - 977

المكتبة العربية

الدكتور

أحمد عوين

تقديم

الأستاذ الدكتور

زين كامل الخويسكى

الناشر

دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

تليفاكس: ٥٣٥٤٤٣٨ - إسكندرية

تقديم

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله الذى نزل عليه أشرف كتاب، محمد (ﷺ) وبعد. إن التعرض للتأليف فى مجال المكتبة العربية مركب وعر لمن يمتطيه، ذلك لتعدد الكتب وكثرة التصانيف، وامتداد قرون التأليف والترجمة العربية، إضافة إلى تشعب العلوم التى توضح فيها التصانيف واختلاف مشارب أصحابها، مما قد يوقع المتعرض لهذا المجال فى حيرة من ناحية واضطراب من ناحية أخرى، وهو - فى هذا وذاك - له عذره الذى يعرفه العالمون بما ينتاب المكتبة العربية.

ولكن الحق الذى لا مرية فيه أن الدكتور أحمد محمد محمد عوين - صاحب هذا الكتاب - قد ابتعد كثيرا عن هذا الاختلاط، وإن اشتمت أنه وقع فى الحيرة التى يقع فيها الباحثون فى مجال المكتبة العربية عند اختياره منهجه ومصنفاته التى أقام عليها درسه، لكن الحق أن منهجه فى ذلك واضح ومنظم ودقيق، حيث نجده يلتزم منهاجا واحدا من أول الكتاب إلى آخره دون عدول أو خلل، إضافة إلى نماذجه الجيدة المختارة بعناية الباحث الواعى المسيطر على أدواته.

والجدير بالذكر أنه أشار إشارات جامعة إلى كثير من مصادر المكتبة العربية فى مقدمات فصوله مع التركيز على بعض النماذج التى أهملها كثير من الدارسين الذين تصدوا للتأليف فى مجال المكتبة، مثل شرح السيوطى على ألفيته المسماة بالفريدة التى عنى بشرحها وتحقيقها أستاذنا أ. د. طاهر سليمان حمودة، كما عنى بدرس شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك الذى أشرف بأننى لى عليها شرح أقمته من منظور حديث ١٩٩٦م وغير ذلك من اختيارات د. أحمد عوين الجيدة.

وأخيراً: أتمنى أن يكون هذا الكتاب سراجاً يثير الطريق أمام راغب
المعرفة في أثناء سيره بين دروب المؤلفات التراثية التي لا يمكن لباحث
إحصائها، والله المستعان.

أ. د. زين كامل الخويسكى

أستاذ العلوم اللغوية ورئيس قسم اللغة العربية بكلية التربية
جامعة الإسكندرية

مقدمة

ليس من شك في شرف القراءة و الدرجة السامقة التى تربح عليها و تستطيع خلالها تشكيل وجدان القارئ و توجيه فكره و اعتقاده وجهة ما ، و كلما كان الكتاب شريفا فى مادته و صاحبه أمينا فى نقلها على أجنحة أفكاره هابطا بها داخل وجدان القارئ و فكره وقع تأثيره قويا على عقول القراء ، ومن ثم يمكن أن يشكل كتاب ضمير أمة بأثرها .

و ليس من شك كذلك فى أن كتاب الله العزيز هو أشرف الكتب ، إذ غير وجهة التاريخ كله ، و انتقل بأمة العربان من جاهلية الجهلاء و كفر بين و تخبط أعمى ، إلى النور و الضياء الذى يسلكون - مستنيرين بهداه - سبل الإيمان و طرق العلم و المعرفة و أسباب الفلاح فى الدنيا والآخرة .

لذا كان القرآن الكريم ذا أثر كبير فى حياة العرب و فكرهم . بل كان القرآن هو الدافع الرئيسى وراء نشأة العلوم العربية المختلفة ، و إذ إنها - فى مجملها - نشأت لخدمة القرآن الكريم ، بل كانت فى البداية مرتبطة به ارتباطا وثيقا لا تدرس إلا من أجل فهم معانيه و الوقوف على مواطن الإعجاز الإلهى البادية فى كل حرف من حروفه المضيئة .

و من ثم كثرت الكتابات العربية الإسلامية التى وصلنا بعضها وضاع كثير منها ، و كثرة هذه التصانيف توقع الدارس - لا محالة - فى حيرة شديدة فى أثناء اختياره نماذج الكتب و المصنفات التى يضعها بين أيدي طالبى العلم فى تراثنا العربى ، وهى كثيرة بالرغم مما ضاع منها ، و مع ذلك فما تبقى أيضا كثير ، و الدارس محكوم بأمور لا يستطيع الفكك من أثرها .

و إننى فى هذا الكتاب المتواضع لا أستطيع - و لا يستطيع غيرى - أن أقدم للمكتبة العربية قاطبة . و من ثم كان على أن أختار النماذج التى أقوم بعرضها و درسها ، و من هنا تقع الصعوبة . و لا يستطيع أحد أن ينكر ما كان لهذه المصنفات - سواء المختارة فى هذا الكتاب و غيرها - من أهمية و تأثير على طول تاريخ العرب والمسلمين ، و هذا الجهد الذى قام به المصنفون واضح لا مرأى فيه فى جميع مجالات الحياة ، فنجدهم قد صنفوا فى علوم القرآن التى تعنى بالنص القرآنى وما

يدور حوله من قضايا وما يثيره من مسائل ، و صنفوا في الحديث النبوى الشريف
جمعاً و تصنيفاً و شرحاً ، كما صنفوا في علوم اللغة و الأدب و البلاغة و النقد و الفلسفة
و التاريخ و الفلك و القانون بل صنفوا في الطب و الهندسة و الكيمياء الخ .
و هذا كله - لا محالة - يلعب دوراً حضارياً كبيراً مما لا يستطيع معه دارس
للحضارة العربية الابتعاد عن هذه المصنفات التي تعطيه صورة كاملة عن تلك
الحضارة و التطور المستمر الذى شهدته .

و مهما يكن من أمر فإن هذه المصنفات على اختلافها و تعددها و تباين
مؤلفيها تحكمها خاصتان أساسيتان ، فهي تنقسم في الأساس قسمين (مصنفات
ذات طابع موسوعى تحتوى على أبواب فى شتى فروع المعرفة ، و مصنفات تأخذ
شكل الطابع المتخصص و المنهج المحدد الواضح) (١) .

و على الرغم من أن هذا التقسيم صحيح فى مجمله فإننا نختلف معه من
بعض الوجوه ، و هذا لما وقع من بعض الدارسين من خلط بين أقسام هذه
المصنفات و إدخال بعضها فى أبواب ليست منها ، لذا آثرت أن أقسم هذه
المصنفات تقسيماً معتمداً على ظاهر موضوعها و المجال الذى يعنى صاحبها بدرسه ،
فقسمت هذا الكتاب أربعة فصول ، الفصل الأول فى مصادر علوم القرآن الكريم
و الثانى فى مصادر علوم اللغة و المعاجم العربية ، و الثالث فى
مصادر الأدب بمفهومه الموسوعى و النقد و البلاغة ، و الرابع فى مصادر
الشعر القديم .

لا يفوتنى فى النهاية أن أعطى كل ذى حق حقه و أرد الفضل إلى أهله ؛
فأتقدم بخالص الشكر و العرفان بالجميل إلى أستاذى أ . د . زين كامل الخويسكى
على تفضله و تقديمه هذا الكتاب المتواضع ، كما أشكر أخى د . محمد أبو شوارب
على مجهوده الضخم الذى بذله من أجل إخراج هذا العمل على هذه الصورة ،
كما أشكر أخى د . عامر أبو عميرة على مساعدته لى و استعانتى بمكتبته دون ملل
منه و لا سام .

وإنى فى ذلك أبتغى فضلاً من الله و نعمة ، و الله المستعان .

د / أحمد محمد محمد عوين

العريش فى الثانى من رجب ١٤٢١ هـ

الثلاثين من شهر سبتمبر - ٢٠٠٠ م

الفصل الأول

مصادر علوم القرآن و التفسير

تجدر الإشارة في مستهل هذا الفصل إلى أعرق كتاب وضع للمسلمين وهو القرآن الكريم أو التنزيل العزيز أو الفرقان الذي فرق بين الحق والباطل . وسمى قرآناً لأنه يجمع السور فيضمها ولأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض . (٢)

وكان النبي (ص) حريصاً كل الحرص على حفظ القرآن بصدرة وتحفيظه أصحابه ، وكان يعرضه على جبريل مرة كل عام ، أما العام الذي قبض فيه فقد عرضه مرتين على جبريل عليه السلام ليثبتته الله في قلبه ويحميه من الخطأ أو التحريف ، ولم يقف النبي (ص) عند حد الحفظ وإنما حرص على أن يجمع حوله كتبة الوحي وقد كان بتوقيف من جبريل عليه السلام يخبر كتبة الوحي ويدلهم على موضع كل آية ، وترتيب كل سورة ، على مدى ثلاث وعشرين سنة ، وإذا ما انتهى كتاب الوحي من أمرهم سلموه الرسول (ص) ليودعه في بيته .

وإذا أضفنا إلى ذلك ما قام به أبو بكر الصديق عن طريق تكليف زيد بن ثابت بجمع القرآن ، وما وضعه من بعده عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان الذي جمع القرآن ووضعه لأول مرة بين دفتي كتاب (المصحف) جزمنا - دون شك - أن جمع المصحف هو باكورة صناعة المكتبة الإسلامية وفق منهج علمي سديد سبق منهج المعاصرين ، بانتقال هذه المكتبة الإسلامية من الذاكرة الواعية الحافظة ، إلى الصحيفة الخالدة ، في حرص شديد على

تجميل المصاحف وإبرازها في صورة أنيقة في خطها وصورتها العامة . (٣) وانطلاقاً من هذه البداية تتابعت المصنفات المختلفة تدرس القرآن من جهات مختلفة وشكلت مكتبة ضخمة زاخرة غنية بالمؤلفات والدراسات حتى يومنا هذا ، وقد تنوعت هذه الدراسات على اختلافها وتعددها لترسي قاعدة صناعة الكتاب الإسلامي ، وتنوعت موضوعات الدرس فيها بين النحو والبلاغة والتفسير ودراسة بعض القضايا المتعلقة بالكتاب المبين كالناسخ والمنسوخ والخاص والعام والمجمل والمفصل والمطلق والمقيد والمحكم والمتشابه . وغير ذلك .

ونحاول فيما يأتي دراسة بعض المصنفات التي عنيت بدراسة بعض قضايا الكتاب المبين إضافة إلى تفسيره.

١- الجامع لأحكام القرآن

لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبي

التعريف بالمفسر : -

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي
الأندلسي القرطبي .

المفسر كان من العلماء العاملين الزاهدين في الدنيا المشغولين بما يعينهم
من أمور الآخرة وكانت أوقاته كلها في العبادة والتصنيف وما ينفع الناس وينفعه (٤)
والقرطبي — كما هو معروف — عاش حياته بالأندلس وكان من أكبر علماء التفسير
فيها . وقد امتاز أهل الأندلس بشغفهم بالعلم . رغبتهم في المزيد منه وقد ساند
ذلك اعتزازهم بدينهم فكان أهم ما قام به علماؤهم حرصهم على حفظ تفاسير
القرآن بعيدة عن الإسرائيليات كتلك التي دسها (عبد الله بن سلام) ، و (كعب
الأخبار) وغيرهما (٥) وظل الإمام (القرطبي) يحيا في هذه البيئة العلمية
المستمسكة بكتاب الله تعالى والحريصة على تفهم معانيه وتدبر أوامره ونواهيه ، إذ
كان مستقراً بمنية ابن الخطيب ، وتوفي ودفن بها ليلة الاثنين التاسع من شوال سنة
إحدى وسبعين وستمائة من الهجرة (٦) .

وقد تعددت شيوخ الإمام القرطبي الذين درس على أيديهم ونقل منهم
وسمع منهم ؛ فقد سمع من الشيخ أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي بعض شرحه
(المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم) وحدث أيضاً عن الحافظ أبي الحسن علي بن
محمد بن علي حفص التجيب (٧)

مصنفاته : -

- ١ - كتاب الآسنى شرح أسماء الله الحسنى .
- ٢ - كتاب التذكار في أفضل الأذكار .
- ٣ - التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة .
- ٤ - شرح التقصى .
- ٥ - قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السؤال بالكتب والشفاعة .
- ٦ - الانتهاز في قراءة أهل الكوفة والبصرة والشام وأهل الحجاز .

٧ - الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي الفرقان .

والكتاب الأخير من هذه التصانيف هو الذى نشغل بدرسه فى هذا المقام وهو من أجل التفاسير وأعظمها نفعاً ، وقد أسقط منه المفسر بعض القصص و التواريخ الزائفة و أتى بدلاً منها بأحكام القرآن و استنباط الأدلة و ذكر القراءات و الإعراب و النسخ و المنسوخ الخ .

منهجه فى التفسير : -

اختلف المفسرون لكتاب الله المبين فى تفاسيرهم المختلفة و تباينت طرقهم فى تناول الآيات بغرض الوصول إلى مراد الله تعالى من وراء كلماته المنيرة فمنهم من يفسر بحديث مأثور عن رسول الله (ص) منهم من ينكر الحديث و يضعفه و يفسره برأيه حسب أصول اللغة العربية التى نزل بها القرآن الكريم - الإمام القرطبى كان وسطاً بين الطرفين فقد كان يجمع فى تفسيره بين المأثور و بين التفسير بالرأى .

وقد وضع القرطبى لنفسه منهجاً فى كتابه هذا فهو يقول فى المقدمة :-

" و شرطى فى هذا الكتاب إضافة الأقوال إلى قائلها و الأحاديث إلى مصنفها فإنه يقال : من بركة العلم أن يضاف إلى قائله و كثيراً ما يحى الحديث فى كتب الفقه و التفسير مبهماً لا يُعرف من أخرجه إلا من اطلع على كتب الحديث تبقى من لا خبرة له بذلك حائراً لا يعرف الصحيح من السقيم و معرفة ذلك علم جسيم فلا يقبل منه الاحتجاج به و لا الاستدلال حتى يضيئه إلى من أخرجه من الأئمة الأعلام و الثقات المشاهير من علماء الإسلام . ونحن نشير إلى جمل من ذلك فى هذا الكتاب و الله الموفق للصواب . وأضرب عن كثير من قصص المفسرين و أخبار المؤرخين إلا ما لا بد منه و لا غنى عنه للتبيين و اعتضتُ من ذلك تبين آي الأحكام بمسائل تفسر معناها وترشد الطالب إلى مقتضاها ، فضمنت حكماً أو حكمين فما زاد مسائل تبين فيها ما تحتوى عليه من أسباب النزول والتفسير الغريب و الحكم فإن لم تتضمن حكماً ذكرت ما فيها من التفسير والتأويل هكذا إلى آخر الكتاب (٨) و قد التزم الإمام القرطبى رحمه الله هذا المذهب إلى حد كبير و هذا لا يمنع من حدوث

بعض المخالفة لهذا المنهج فإنه رحمه الله خالف أحياناً ما اشترطه على نفسه من البعد عن قصص المفسرين وأخبار المؤرخين والإسرائيليات الكثيرة الموجودة في كتب التفسير فقد أورد في كتابه كثيراً منها رغم عدم حاجة الكتاب إليها إلا أن ذلك لا يقلل من قيمة هذا الكتاب العلمية ولا من قيمة الإمام القرطبي فلكل جواد كبوة و لكل حسام نبرة وربما نلتمس له بعض العذر إذا علمنا أن هذه القصص والإسرائيليات كانت ثقافة عصره الذي نشأ فيه و كان ذلك سائداً آنذاك على السنة كثير من الناس والعلماء على السواء و تتضح مزايا هذا التفسير إذا عقدنا مقارنة بينه وبين غيره من التفاسير كتفسير الإمام (فخر الدين الرازي محمد بن عمر بن الحسين والإمام الطبري والإمام ابن كثير وغيرهم من العلماء الأفاضل فالإمام الفخر الرازي كتب في القرآن تفسيراً عظيماً جمع فيه كما جمع غيره واهتم بإيراد مسائل الكلام والإمام الطبري اهتم بذكر الأسانيد ليبين أن تفسيره ليس عن هوى أو عصبية وتوسع في توجيه القراءات والإمام ابن كثير كان من أهل الحديث والفقه فنقد الروايات الضعيفة وبين سبب ضعفها وهكذا تعددت طرق التفسير لدى الأحكام الفقهية والبحث عن الرأي الصحيح بين الآراء . (٩) .

و بعد نحاول أن نجمل أهم السمات التي تبرز بوضوح في تفسير الإمام القرطبي ، والتي كان حريصاً عليها كل الحرص على النحو الآتي :-

- ١ - كان يجمع في تفسيره بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأى .
- ٢ - كان يرفض في تفسيره آراء الروافض وينتصر لآراء أهل السنة والجماعة .
- ٣ - كان يرفض منهج المعتزلة في التفسير لمخالفته لمذهب أهل السنة والجماعة .
- ٤ - كان يذكر آراء المذاهب السنية عند تفسير آيات الأحكام الفقهية كآيات الصلاة والزكاة وغيرها .
- ٥ - يفسر الآية ثم يرجح الرأي الذي يحتاره و يناقش الآراء الأخرى ويضعفها و أحياناً يقوى مذهب الإمام مالك إذا كان له دليل راجح لأنه كان مالكي المذهب .
- ٦ - نقد المتصوفة و فند ما كان له من آراء بين أنهم قد ابتدعوا في الدين ما لم ينزل به الله من سلطان .

- ٧ - كان يحرص على إسناد الأقوال إلى أصحابها متحريراً الدقة في الإسناد .
- ٨ - كان حريصاً على نسبة الآراء الفقهية إلى أصحابها .
- ٩ - ابتعد في كثير من المواطن عن الإسرائيليات ، وإن وقع في بعضها أحياناً .
- ١٠ - كان يعنى بالجوانب اللغوية ويستشهد على ما يقول بعيون الشعر العربي .

نموذج من تفسير القرطبي

قوله تعالى :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُ الْخِصَامِ ﴾ ٢٠٤ .

فيه ثلاث مسائل :

الأولى : قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ ﴾ لما ذكر الدين قصرت هممتهم على الدنيا - في قوله : ﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا ﴾ (البقرة : ٢٠٠) - والمؤمنين الذين سألوا خير الدارين ذكر المنافقين ، لأنهم أظهروا الإيمان وأسروا الكفر . قال السدي وغيره من المفسرين : نزلت في الأخنس بن شريق ، واسمه أبي ، والأخنس لقب لقّب به ، لأنه خنس يوم بدر بثلاثمائة رجل من حلفائه من بنى زهرة عن قتال رسول الله ﷺ ، على ما يأتي في " آل عمران " بيانه . وكان رجلاً حلو القول والمنظر ، فجاء بعد ذلك إلى النبي (ﷺ) فأظهر الإسلام و قال : الله يعلم أني صادق ، ثم هرب بعد ذلك ، فمر بزرع لقوم من المسلمين و بحمر فأحرق الزرع و عقر الحمر . قال المهدوي : وفيه نزلت ﴿ وَلَا تَطْعَمْ كُلَّ حَلَاْفٍ مَّهِينٍ ﴾ ﴿ هَمَازٌ مَّشَاءٌ بِنَمِيمٍ ﴾ (ن : ١٠ ، ١١) و ﴿ وَيَلْ لَّكُلْ هَمَزَةٌ لَمَزَةٌ ﴾ (الهمزة : ١) . قال ابن عطية : ما ثبت قط أن الأخنس أسلم . وقال ابن عباس : نزلت في قوم من المنافقين تكلموا في الذين قتلوا في غزوة الرجيع في قوله ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ ﴾ (البقرة : ٢٠٨)

وقال قتادة ومجاهد وجماعة من العلماء : نزلت في كل مبطن كفراً أو نفاقاً أو كذباً أو إضراراً ، وهو يظهر بلسانه خلال ذلك ، فهي عامة . وهي تشبه ما ورد في الترمذي أن بعض كتب الله تعالى : إن من عباد الله قوماً ألسنتهم أحلى من العسل

وقلوبهم أمر من الصبر ، يلبسون للناس جلود الضان من اللين ، يشترون الدنيا بالدين .
يقول الله تعالى : أبى يغترون ، وعلى يجترئون . فبى حلفت لأتيحن لهم فتنة تدع
الحليم منهم حيران .

و معنى ((ويشهد الله)) أى يقول : الله يعلم أنى أقول حقاً . وقرأ ابن
محيصن ؓ ويشهد الله على ما فى قلبه ؓ بفتح الياء والهاء فى ((يشهد)) ((الله))
بالرفع ، والمعنى يعجبك قوله ، والله يعلم منه خلاف ما قال . دليله قوله : ؓ والله
يشهد إن المنافقين لكاذبون ؓ (المنافقون : ١)

وقراءة ابن عباس ؓ والله يشهد على ما فى قلبه ؓ . وقراءة الجماعة أبلغ
فى الذم ، لأنه قوى على نفسه التزام الكلام الحسن ، ثم ظهر من باطنه خلافه . وقرأ
أبى وابن مسعود ؓ ويستشهد الله على ما فى قلبه ؓ وهى حجة لقراءة الجماعة .
الثانية : قال علماؤنا : وفى هذه الآية دليل وتنبية على الاحتياط فيما يتعلق بأمور
الدين والدنيا ، وإستبراء أحوال الشهود والقضاة ، وأن الحاكم لا يعمل على ظاهر
أحوال الناس وما يبدو من إيمانهم وصلاحهم حتى يبحث عن باطنهم ، لأن الله
تعالى بين أحوال الناس ، وأن منهم من يظهر قولاً جميلاً وهو ينوى قبيحاً .

فإن قيل : هذا يعرضه قوله عليه السلام : ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله
إلا الله)) الحديث ، وقوله : ((فأقضى له على نحو ما أسمع)) فالجواب أن هذا
كان فى صدر الإسلام ، حيث كان إسلامهم سلامتهم ، وأما وقد عم الفساد فلا ، قاله
ابن العربى .

قلت : والصحيح أن الظاهر يعمل عليه حتى يتبين خلافه ، لقول عمر ابن الخطاب
رضى الله عنه فى صحيح البخارى : أيها الناس ، إن الوحى قد انقطع ، وإنما
نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم ، فمن أظهر لنا خيراً أمناه وقربناه ، وليس لنا
من سريره شئ ، الله يحاسبه فى سريره . ومن أظهر لنا سوءاً لم نؤمنه ولم نصدق .
وإن قال إن سريره حسنة .

الثالثة : قوله تعالى : ؓ وهو ألد الخصام ؓ الألد : الشديد الخصومة ، وهو رجل ألد .
وامرأة لداء ، وهم أهل لدد . وقد لددت - بكسر الدال - تلد - بالفتح - لدداء .

أى صرت ألد . ولدوته - بفتح الدال - ألدّه - بضمها - إذا جادلته فغلّبتّه . والألدّ
مشتق من اللديدين ، وهما صفحتا العنق ، أى فى أى جانب أخذ من الخصومة
غلب . قال الشاعر : -

وَأَلْدِى حَنْقٌ عَلَى كَأَنَّمَا تَغْلِي عِدَاوَةَ صَدْرِهِ فِى مَرَجَلٍ
وَقَالَ آخَرُ : -

إِنْ تَحْتَ التَّرَابِ عَزَمًا وَحَزَمًا وَخَصِيمًا أَلَدًا ذَا مَغْلَاقٍ
و ((الخصام)) فى الآية مصدر خاصم ، قاله الخليل . وقيل : جمع خصم ،
قاله الزجاج ، ككلب و كلاب ، و صعب و صعاب ، و ضخم و ضخام . والمعنى أشدّ
المخاصمين خصومة ، أى هو ذو جدال ، إذا كلمك وراجعت رأيت لكلامه طلاوة و
باطنه باطل . وهذا يدل على أن الجدال لا يجوز إلا بما ظاهره و باطنه سواء .
وفى صحيح مسلم عن عائشة قالت قال رسول الله (ص) ((إن أبغض الرجال إلى
الله الألد الخصم))

هوامش

- ١ - د . السعيد بيومى الورقى ، فى مصادر التراث العربى ، ط ١٩٧٩ . الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ٨٧ .
 - ٢ - راجع فى هذا تاريخ القرآن ، أبو عبد الله الزجاجى ، القاهرة ، ١٩٣٥ م ، الإتيقان فى علوم القرآن للسيوطى ١٢٧٨ هـ .
 - ٣ - راجع القلقشندى . صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ج ٢ ص ٤٧٥ ، ابن النديم ، الفهرست ص ٩ ، ١٠ .
 - ٤ - أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى ، الجامع لأحكام القرآن . دار علوم القرآن ج ١ ص ٥
 - ٥ - د . يوسف حسن نوفل ، المكتبة العربية و صناعة الكتاب ص ٨٢ .
 - ٦ - الجامع لأحكام القرآن ص ٥
 - ٧ - راجع ترجمة محمد بن أبى بكر بن فرح الأنصارى الخزرجى المالكى أبو عبد الله القرطبى ت ٦٧١ هـ .
- ترجمته فى الديباج المذهب فى معرفة أعيار الذهب لابن قرحون : تحقيق الأحمدي أبو النور دار التراث ط ١٩٧٢ م ج ١ ص ٣١٧ ، ٣١٨ . و طبقات المفسرين للداودى - ط ١ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٣ م ج ٢ ص ٦٩ ، نفح الطيب للمقرى تحقيق إحسان عباس - ط ١ بيروت ١٩٦٨ م ج ٢ ص ٢١٠ . هدية العارفين للبغدادى - مكتبة المثنى بغداد د . ت ج ٢ ص ١٢٩ . شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبل - المكتب التجارى بالقاهرة ط ١ سنة ١٣٥٠ هـ ح ٥ ص ٥ . ٣٢٥ . ، طبقات المفسرين للسيوطى ط ليدن سنة ١٨٣٩ م ح ١ ص ٣٨ ، ٣٩ . الوافى بالوفيات للصفدى - ط دمشق سنة ١٩٥٩ م ح ٢ ص ١٢٩ .
- التفسير و المفسرون لمحمد حسين الذهبى مطبعة وهبة - القاهرة ط ٤ مصر ١٩٨٢ م ح ٢ ص ٤٥٧ .

- . معجم المؤلفين - عمر رضا كحالة - مؤسسة الرسالة . ط ١٩٩٣ م - ٣ ص ٥٢ .
- . كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون لحاجي خليفة - دار الفكر العربي .
ط ١ سنة ١٩٨٢ م - ١ ٣٨٣ ، ٣٩٠ ، ٥٣٤ .
- ٨ - القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن - ١ ص ١٤ .
- ٩ - السابق - ١ ص ٢

٢- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل
وعيون الأقاويل في وجوه التأويل
للإمام / محمود بن عمر الزمخشري (٥٢٨ هـ)

حياته و ثقافته : -

صاحب كتاب الكشف الذى نحن بصدده عرضه هو إمام الأئمة وهادى الأمة أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري ، وقد كانت ولادته يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر رجب سنة سبع وستين وأربعمائة بزمخشر ، وتوفي رحمه الله تعالى ليلة عرفة سنة (٥٣٨ هـ) ثمان وثلاثين وخمسمائة بجرجانية خوارزم بعد رجوعه من مكة رحمه الله تعالى (١) .

وكان الإمام الزمخشري بارعاً في علوم العربية قاطبة فقد برع في علوم الحديث والتفسير والنحو واللغة والمعاني والبيان وغيرها ، لذا كان إمام عصره تشد إليه الرحال إذ أصبح أستاذاً وشيخاً بعدما تلقى العلم وأجازه أساتذته ، من أهمهم شيخه منصور أبو معز .

وكان الإمام الزمخشري يلقب (جار الله) إذ سافر إلى مكة وجاور بها زمناً فقليل له (جار الله لذلك) ، وقد اشتهر أن إحدى رجله كانت ساقطة وأنه كان يمشي في جارين من خشب . وقد اختلف في سبب سقوطها : -

١ - قيل إنه في إحدى رحلاته أصابه ثلج كثير وبرد شديد في الطريق فسقطت منه رجله (٢) .

٢ - قيل أن الزمخشري لما دخل بغداد واجتمع بالفقيه الحنفي الدامغانى سألته عن سبب قطع رجله فقال : دعاء الوالدة . وذلك أنى كنت في صباى أمسكت عصفوراً وربطته بخيط من رجله فأفلت من يدي فأدركته وقد دخل في خرق فجذبه فانقطعت رجله في الخيط ، فتألمت والدتي لذلك وقالت : - قطع الله رجل الأبعد كما قطعت رجله ، فلما وصلت إلى سن الطلب رحلت إلى بخارى أطلب العلم فسقطت عن الدابة فانكسرت رجلى وعملت على عملاً أوجب قطعها وبعد : فإن أهم ما كان يميز ثقافة الإمام الزمخشري وفكره أنه معتزلى النزعة ، إذ كان يمثل اتجاه المعتزلة في التفسير تمثيلاً أميناً ودقيقاً . ولعل

أهمية تفسيره الكشف ترجع إلى أنه الأثر الوحيد الباقي من التفاسير التي قام بتصنيفها علماء من فرقة المعتزلة .

وقد كان لفرقة المعتزلة فكر خاص ساد لديها عرفت به فقد كان من أسس إعتقادها نفى صفات الله تعالى من القدرة ، والإيمان محدث ومخلوق ، وأن الله تعالى ليس خالقاً لأفعال العبد ، وقد قام مذهب المعتزلة في الأساس على خمس قواعد : هي : - التوحيد . العدل . الوعد ، الوعيد ، المنزلة بين المنزلتين ، الأمر بالمعروف ، النهي عن المنكر . (٣) .

إننا إذا رأينا مؤلفات الإمام الزمخشري استطعنا أن نقف على هذا كله في أثناء رحلتنا داخل هذه المصنفات ، ولما كان المجال يضيق بنا فلا نستطيع عرض جميع مصنفاته فإننا نعرض في عجالة أسماء هذه المصنفات لنصل بعدها إلى الكتاب محل هذا الدرس وهو الكشف .

مؤلفاته : -

- ١ - الفائق في تفسير الحديث .
- ٢ - أساس البلاغة في اللغة .
- ٣ - ربيع الأبرار ونصوص الأخبار .
- ٤ - ضالة الناشد والرائض في علم الفرائض .
- ٥ - المفصل في النحو .
- ٦ - المفرد و المؤلف في المسائل النحوية .
- ٧ - المستقصى في الأمثال العربية .
- ٨ - البدور السافرة في الأمثال السائرة .
- ٩ - الكشف ، وهو الذي نعتى بدرس .

وهذا الكتاب الأخير هو الذي فسر فيه القرآن الكريم تفسير يتناسب مع فكره الاعتزالي ، وقد دفعت أهمية هذا الكتاب بعض العلماء إلى شرحه والتعليق عليه و كتابة حواشي عن أصوله : من هؤلاء : -

١ - حاشية العلامة أحمد بن المنير المسماه بالانتصاف فيها - 'قش الزمخشري فيما أورد من العقائد على عذهب المعتزلة ، و يورد ما يقابلها عند أهل السنة و كذلك يناقشه في كثير من اللغة .

٢ - حاشية العلامة الشيخ محمد عليان المرزوقي و هي تتضمن ما تضمنته حاشية ابن المنير من رد الاعتزاليات و بيان اللغويات .

٣ - شرح الشواهد من الآيات الواردة للتفسير . و هو العلامة الشيخ محمد عليان المرزوقي .

٤ - تخريج أحاديث الكشف الواردة به . و هي لأمر المؤمنين في الحديث الحافظ بن حجر العسقلاني أبان فيها مرتبة كل حديث ورد في هذا التفسير .

نموذج من تفسير الكشف للزمخشري -

لقد اخترت هذا النموذج من سورة البقرة ((آية الكرسي)) أية ٢٥٥ لما فيها من قضايا مثارة بين المعتزلة و غيرهم من الفرق ؛ و نجل هذه الإشارات الإعتزالية كما يبرزها تفسير الزمخشري لهذه الآية ؛ -

١ - يبرز في ((الحي)) رأي المعتزلة الذين يفرون من أن يثبتوا لله صفة وجودية كالحياء التي تنافي الموت .

٢ - تبدو هذه النزعة أيضاً في تأويله الكرسي في الآية الكريمة ، إذ ابتعد به عن كل شبهة للتجسيم . وهذا نص تفسيره بتمامه : -

قال تعالى : -

﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم و ما خلفهم و لا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات و الأرض و لا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم » ٢٥٥

(الحي) الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء ، وهو على اصطلاح المتكلمين الذي يصح أن يعلم و يقدر . و (القيوم) الدائم القيام بتدبير الخلق و حفظه .

وَقَرَأَ : الْقِيَامَ . وَالْقِيَمَ . وَالسَّنَةَ : وَمَا يَتَقَدَّمُ مِنَ النَّوْمِ مِنَ الْفَتُورِ الَّذِي يُسَمَّى

النَّعَاسَ . قَالَ ابْنُ الرَّقَاعِ الْعَامِلِيُّ : -

وَسَنَانٌ أَقْصَدُ النَّعَاسَ فَرَنْقَتَ فِي عَيْنَيْهِ سَنَةً وَلَيْسَ بِنَائِمٍ

أَيُّ لَا يَأْخُذُهُ نَعَاسٌ وَلَا نَوْمٌ وَهُوَ تَأْكِيدٌ لِلْقِيَوْمِ ؛ لِأَنَّهُ مِنْ جَازٍ عَلَيْهِ ذَلِكَ اسْتِحْوَاجٌ أَنْ يَكُونَ قِيَوْمًا . وَمِنْهُ حَدِيثُ مُوسَى : - أَنَّهُ سَأَلَ الْمَلَائِكَةَ وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ قَوْمِهِ كَطَلَبِ الرُّؤْيَا : أَيَنَامُ رَبَّنَا ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ يَوْقُظُوهُ ثَلَاثًا وَلَا يَتْرَكُوهُ يَنَامَ . ثُمَّ قَالَ : خُذْ بِيَدِكَ قَارُورَتَيْنِ مَمْلُوءَتَيْنِ . فَأَخَذَهُمَا ، وَأَلْقَى اللَّهُ عَلَيْهِ النَّعَاسَ فَضَرَبَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَى فَانْكَسَرَتَا ، ثُمَّ أَوْحَى إِلَيْهِ : قُلْ لِهَؤُلَاءِ إِنِّي أُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقُدْرَتِي ، فَلَوْ أَخَذَنِي نَوْمٌ أَوْ نَعَاسٌ لَزَالَتَا . (مِنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ) بَيَانٌ لِمَلَكُوتِهِ وَكِبْرِيَاءِهِ . وَأَنْ أَحَدًا لَا يَتِمَالِكُ أَنْ يَتَكَلَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا إِذَا أُذِنَ لَهُ فِي الْكَلَامِ . .

قَوْلُهُ تَعَالَى (لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ) (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) مَا كَانَ قَبْلَهُمْ وَمَا يَكُونُ بَعْدَهُمْ . وَالضَّمِيرُ لِمَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لِأَنَّ فِيهِمُ الْعُقُلَاءَ أَوْ لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ (مَنْ ذَا) مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ (مَنْ عِلْمُهُ) مِنْ مَعْلُومَاتِهِ (إِلَّا بِمَا شَاءَ) إِلَّا بِمَا عَلِمَ . الْكَرْسِيُّ : مَا يَجْلِسُ عَلَيْهِ ، وَلَا يَفْضُلُ عَنْ مَقْعَدِ الْقَاعِدِ . وَفِي قَوْلِهِ (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ) أَرْبَعَةٌ أَوْجُهُ : أَحَدُهَا أَنْ كُرْسِيَهُ لَمْ يَضِيقْ عَنِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لِبَسْطَتِهِ وَسَعَتِهِ ، وَمَا إِلَّا تَصَوُّيرَ لِعَظَمَتِهِ وَتَخْيِيلَ فَقَطْ ، وَلَا كُرْسِيَّ ثَمَّةَ وَلَا قَعُودَ وَلَا قَاعِدَ ، كَقَوْلِهِ :

(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) مِنْ غَيْرِ تَصَوُّرِ قَبْضَةٍ وَطَى وَيَمِينٌ ، وَإِنَّمَا هُوَ تَخْيِيلٌ لِعَظَمَةِ شَأْنِهِ وَتَمْثِيلٌ حَسِّيٌّ . أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) . الثَّانِي : وَسِعَ عِلْمُهُ وَسَمَا الْعِلْمُ كُرْسِيًّا تَسْمِيَةً بِمَكَانِهِ الَّذِي هُوَ كُرْسِيُّ الْعَالَمِ . وَالثَّالِثُ : وَسِعَ مَلَكُهُ تَسْمِيَةً بِمَكَانِهِ الَّذِي هُوَ كُرْسِيُّ الْمَلِكِ . وَالرَّابِعُ : مَا رَوَى أَنَّهُ خَلَقَ كُرْسِيًّا هُوَ بَيْنَ يَدَيْ الْعَرْشِ دُونَهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَهُوَ إِلَى الْعَرْشِ كَأَصْغَرِ شَيْءٍ . وَعَنِ الْحَسَنِ : الْكَرْسِيُّ هُوَ (وَلَا يُؤَدُّهُ) وَلَا يَثْقُلُهُ وَلَا يَشُقُّ عَلَيْهِ (حَفْظُهُمَا) حَفْظُ السَّمَاوَاتِ وَ

الأرض (وهو العلى) الشأن (العظيم) الملك و... رة . فإن قلت : كيف ترتبت
الجميل فى آية الكرسي من غير حرف عطف ؟ قلت : ما منها جملة إلا وهى واردة
على سبيل البيان لما ترتبت عليه و البيان متحد بالمبين . فلو توسط بينهما عاطف
لكان كما تقول العرب بين العصا و لحائها ، فالأولى بيان لقيامه بتدبير الخلق و كونه
مهيمناً عليه غير ساه عنه و الثانية لكونه مالكا لما يدبره . و الثالثة كبرياء شأنه .
والرابعة لإحاطته بأحوال الخلق ، فعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة . و غير
المرتضى . و الخامسة لسعة علمه و تعلقه بالمعلومات كلها ، أو لجلاله و عظم قدره .
فإن قلت : لم فضلت هذه الآية حتى ورد فى فضلها ما ورد منه قوله (ص) : ما قرأت
هذه الآية فى دار إلا هجرتها الشياطين ثلاثين يوماً و لا يدخلها ساحر إلا ساحره
أربعين ليلة ، يا على علمها ولدك و أهلك و جيرانك ، فما نزلت آية أعظم منها و عن
على رضى الله عنه : ما سمعت نبيكم (ص) على أعواد المنبر و هو يقول : (من قرأ
آية الكرسي فى دبر كل صلاه مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت ، و لا
يواظب عليها إلا صديق أو عابد ، و من قرأها إذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه و
جاره و جار جاره و الأبيات حوله و تذاكر الصحابة رضوان الله أفضل ما فى القرآن .
فقال لهم على رضى الله عنه : أين أنتم عن آية الكرسي ، ثم قال :

قال لى رسول الله (ص) (يا على ، سيد البشر آدم ، وسيد العرب محمد ولا
فخر وسيد الفرس سلمان و سيد الروم صهيب ، و سيد الحبشة بلال ، وسيد الجبال
الطور ، وسيد الأيام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن ، وسيد القرآن البقرة ، وسيد
البقرة آية الكرسي) قلت : لما فضلت له سورة الإخلاص لاشتمالها على توحيد الله
وتعظيمه و تمجيده وصفاته العظمى ، ولا مذكور أعظم من رب العزة كما كان ذكراً
له كان أفضل من سائر الأذكار . وبهذا يعلم أن أشرف العلوم وأعلاها منزلة عند الله
علم أهل العدل والتوحيد و لا يغرنك عنه كثرة أعدائه : -

فإن العرائن تلقاها محسدة ولا ترى للناس حسادا

هــوامـش

- ١ - زمخشر بفتح الزاى و الميم و سكون الخاء و فتح الشين المعجمتين و بعدها راء قرية كبيرة من قرى خوارزم و جرجانية بضم الجيم الأولى و فتح الثانية و سكون الراء بينهما و بعد الألف نون مكسورة و بعدها ياء مثناة من تحتها مفتوحة مشددة ثم هاء ساكنة و هى قضية خوارزم . قال ياقوت الحموى فى معجم البلدان : قال لهم بلغتهم كرطانج فعربت و قيل لها جرجانية و هى على شاطئ جيحون . و راجع ترجمة الإمام الزمخشرى فى إنباء الرواة على أنباء النحاة . للقفطى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربى ط ١ ١٩٨٦ م ٢٦٥/٣ ، و السيوطى ، بغية الوعاة فى طبقات اللغويين و النحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت د . ت . ، ٢٧٩ / ٢ ، و أبو الفدا عماد الدين اسماعيل ، المختصر فى أخبار البشر ، تحقيق محمد زينهم و يحيى سيد . دار المعارف ط ١ ١٩٩٨ م ، ٣ / ٢٥ الذهبى ، صيغ أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرنؤوط و آخر ، مؤسسة الرسالة ط ١ ١٩٩٨ م ، ١٥١ / ٢٠ ، أبو البركان ابن الأنبارى ، نزهة الألباء فى طبقات الأدباء ، تحقيق محمد أبو الفضل ، دار الفكر العربى ط ٢ ١٩٩٨ م ص ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، و كارل روكلمان ، تاريخ الأدب العربى ، ت . د . رمضان عبد الجواد ، دار المعارف ط ٢ ١٩٨٢ م ٢١٥ / ٥ : ٢٣٨ . ابن كثير البداية و النهاية ، تحقيق أحمد أبو ملحم و آخرين . دار الريان للتراث القاهرة ١٩٨٩ م ، ١٢ / ٢١٩ ، ياقوت الحموى ، معجم الأدباء (إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب) ، دار الكتب العلمية بيروت ط ١ ١٩٩١ م ، ٤٨٩ / ٥ و ما بعدها ، عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، مؤسسة الرسالة ط ١ ١٩٩٢ م ، ٨٢٢/٣ ، ابن أبى الوفاء القريش الجواهر المضيئة فى طبقات الحنفية ، تحقيق عبد الفتاح الحلو ، دار هاجر للطباعة و النشر ط ١ القاهرة ١٩٩٣ ، ١٦٠ / ٢ ، ١٦١ .

٢ - يقال إن الزمخشري كان بيده محضر فيه شهادة خلق كثير ممن اطلعوا على حقيقة سقوط رجله من أثر البرودة خوفاً أن يظن من لم يعلم صورة الحال أنها قطعت لريبة .

٣ - راجع آراء المعتزلة ومبادئهم في كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل - ط القاهرة سنة ١٢٢١ هـ ، محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى - ط دار التحرير ، القاهرة . ابن المرتضى وأحمد بن يحيى ، كتاب المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل ، مخطوط مصور بدار الكتب المصرية ، د . محمد عبد الهادي أبو ريذة ، إبراهيم بن سيار النظام وآراؤه الكلامية والفلسفية - ط القاهرة ١٩٤٦ م . أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني ، التمهيد في الرد على الملحدة والمعتلة والرافضة والخوارج والمعتزلة ، تحقيق محمود محمد الخضيرى و د . محمد عبد الهادي أبو ريذة ط القاهرة سنة ١٩٤٧ م ، د . محمد عمارة ، المعتزلة وأصول الحكم ، كتاب الهلال ابريل ١٩٨٤ م .

٣ - تفسير البحر المحيط

لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان

الأندلسي ت ٢٤٥ هـ

نسبه و تكوينه : -

هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النفزي الأندلسي الجياني الغرناطي المغربي المالكي ثم الشافعي (١) و كان يكنى بأبي حيان .
ولد أبي حيان رحمه الله في مدينة غرناطة سنة أربع وخمسين وستمائة (٢)
و كان أبوه علماً من أعلام التفسير كما أن غرناطة كانت حافلة بمدارس العلم المختلفة و أساتذة الحديث و الفقه و اللغة و الأدب شأنها في ذلك شأن قرطبة .
ومرسيه و إشبيلية و غيرها من عواصم الأندلس مما كان له أبلغ الأثر على تشكيل شخصية أبي حيان العلمية . فأقبل أبو حيان على طلب العلم بجد ونشاط منذ نعومة أظافره . و قد قال ابن الجذري في غاية النهاية : (وأول قراءته سنة سبعين وستمائة قرأ القرآن بالقراءات السبع ببلده على عبد الحق بن عبد الله الأنصاري) . (٣) و قد تلقى أبو حيان - رحمه الله - كثيراً من كتب أهل اللغة و دواوين الشعر . و حفظ كثيراً منها . كما أنه تلقى علوم البلاغة بأنواعها الثلاثة : البيان . والمعاني . و البديع على أستاذه ابن الزبير ، كما تلقى علم أصول الفقه على أيدي الكثير من أئمة .
شيوخه : -

كان الإمام أبو حيان يسعى إلى العلم ويرتحل وراءه أينما كان ؛ فقد سمع الحديث بالأندلس و إفريقية والإسكندرية ومصر والحجاز من نحو أربع مائة وخمسين شيخاً ، ونحاول فيما يأتي ذكر أسماء بعض هؤلاء الشيوخ .

١ - أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الزبير بن الحسن بن الحسين الثقفي العاصمي الجياني ، و توفي الثلاثاء ثامن ربيع الأول سنة ثمان وسبع مائة (٤) .

٢ - الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن محمد الإمام أبو علي بن أبي الأحوص القرشي الفهري . توفي بغرناطة في الرابع عشر من جمادى الأول سنة تسع وسبعين وستمائة كذا قال ابن الزبير . وقال ابن عبد الملك سنة ثمانين (٥) .

٢ - علي بن محمد بن محمد بن عبد الرحيم الخشني الأبيدي (٦) أبو الحسن ،
توفي عام ثمانين و ستمائة في رجب .

■ - محمد بن علي بن يوسف العلامة رضي الدين أبو عبد الله الأنصاري الشاطبي
اللغوي ، ولد ببلنسية سنة إحدى وستمائة ، وتوفي بالقاهرة يوم الجمعة الثاني
والعشرين من جمادى الأولى سنة أربع وثمانين وستمائة (٧)

٥ - محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي نصر الإمام أبو عبد الله بهاء الدين بن
النحاس الحلبي النحوي شيخ الديار المصرية في علم اللسان . ولد في جمادى
الآخرة سنة سبع وعشرين وستمائة . وتوفي يوم الثلاثاء جمادى الآخرة سنة
ثمان وتسعين و ستمائة (٨) .

٦ - محمد بن مصطفى بن زكريا بن خواجا بن حسن الدروكي الصلغري فخر الدين
الحنفي النحوي ، وتوفي سنة ثلاث عشرة و سبعمائة . (٩) .

٧ - أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن عياش أبو جعفر أبو الطباع
الرعيي الغرناطي ، وتوفي سنة ثمانين و ستمائة في ذي القعدة . (١٠) .

٨ - أحمد بن يوسف بن علي بن يوسف الفهري الليالي ، وتوفي بتونس في
المحرم سنة إحدى وتسعين وستمائة . (١١) .

٩ - عبد الحق بن علي بن عبد الله بن محمد بن عبد الملك أبو محمد الغرناطي ،
لأزمه أبو حيان وانتفع به نحو سبعة أعوام كان آخرها سنة تسع وستين و
ستمائة (١٢) .

١٠ - اليسر بن عبد الله بن محمد بن خلف بن اليسر بن محمد بن عبد الله بن مروان
بن اليسر بن طليق الداخل الأندلسي ابن حبيب أبو الحسين (١٣) .

مصنفاته :-

لما كانت ثقافة الإمام أبي حيان واسعة وشيوخه كثيرين متعددي النوازع
والاتجاهات ومختلفي العلوم . فلما كان هو نفسه ذكياً حقيقاً ساعياً بدأب إلى
تحصيل العلم بمختلف سبله . كان لابد أن يخرج علينا الإمام الحبر البحر بمصنفات
متعددة مختلفة في العلوم التي كانت موضوعاً لها ؛ فنجدته يصنف في تفسير القرآن

الكريم وعلم القراءات وعلم دراسة الحديث النبوى الشريف وعلم الفقه وعلوم اللغة
وعلم النحو إلخ (١٤)

ونحاول فيما يأتى ذكر بعض هذه المصنفات :-

١ - كتابة التفسير الذى نحن بصدده الآن (البحر المحيط) الذى اختصر منه النهر
الماد .

٢ - غفد الآلى فى القراءات السبع العوالى .

٣ - الحلل الحالية فى أسانيد القراءات العالية .

٤ - المورد الغمر فى قراءة أبى عمر .

٥ - تقريب النائى فى قراءة الكسائى .

٦ - المزن الهامر فى قراءة بن عامر .

٧ - الأثير فى قراءة (ابن كثير) .

٨ - النافع فى قراءة (ابن نافع) .

٩ - الرمزة فى قراءة حمزة .

١٠ - الروض الباسم فى قراءة عاصم .

١١ - غاية المُنْطَلَب فى قراءة يعقوب .

١٢ - قصيدة النير الجلى فى قراءة زيد بن على .

١٣ - الوهاج فى اختصار المنهاج .

١٤ - الأنوار الأجلى فى اختصار المحلى .

١٥ - مسائل الرشد فى تجريد مسائل ابن رشد (ولم يتمه) .

١٦ - إتحاف الأديب بما فى القرآن من الغريب (١٥) .

١٧ - الإرتضاء فى الفرق بين الضاد والظاء (١٦) .

١٨ - الإدراك للسان الأتراك (١٧) .

١٩ - الأفعال فى لسان الترك .

٢٠ - زهو الملك فى نحو الترك .

٢١ - منطق الخرس فى لسان الفرس .

- ٢٢ - جلاء الغبش عن لسان الحبش .
- ٢٣ - المخبور في لسان اليعفور .
- ٢٤ - التذكرة وهو في أربعة مجلدات كبار .
- ٢٥ - الشذا في مسألة كذا (١٨) .
- ٢٦ - غاية الإحسان في علم اللسان (١٩) .
- ٢٧ - النكت الحسان في شرح غاية الإحسان (٢٠) .
- ٢٨ - اللوحة البدرية في علم العربية (٢١) .
- ٢٩ - إعراب القرآن .
- ٣٠ - التقريب (٢٢) .
- ٣١ - التدريب في تفسير المقرب (٢٣) .
- ٣٢ - الموفور في تحرير أحكام ابن عصفور (٢٤) .
- ٣٣ - المبدع (٢٥) .
- ٢٤ - التذيل والتكميل شرح التسهيل (٢٦) .

منهج أبي حيان في البحر المحيط :-

إننا إذا أردنا أن نتحدث عن منهج أبي حيان في تفسيره و جب علينا الإشارة إلى الظاهرة الأولى بل الأساسية التي تسيطر على الكتاب بآثره ، أعني بها اعتماد أبي حيان في تفسيره على أساس من اللغة والنحو ، فهو في أثناء ذلك يلتزم منهجاً دقيقاً يبدأ فيه بالكلام عن المفردات التي يريد تفسيرها لفظة لفظة ، وذلك بما يحتاج إليه من اللغة والأحكام النحوية التي لتلك اللفظة قبل التركيب .

ثم يبدأ بعد ذلك في تفسير الآية ذاكرة سبب نزولها وعلم أسباب النزول من العلوم المهمة للمفسر ، فإن لم يكن على بصيرة منه وقع في خطأ عظيم .

ثم يتلو ذلك ببيان الناسخ قبل المنسوخ لأن معرفة الناسخ من المنسوخ من العلوم الثمينة التي يجب أن يكون المفسر على دراية واعية كاملة بها ، وإلا تخبط تخبطاً يحط من شأنه و شأن المتكلم فيه .

و بعد أن يذكر سبب أو أسباب النزول ، و الناسخ و المنسوخ ، يبين مناسبة الآية ، و مناسبة الآيات و ارتباطها بالسابقة و اللاحقة من الأمور التي يجب أن يوليها المفسر اهتمامه.

ولم يفت أبا حيان أن يلتزم في تفسيره بإيراد القراءات المستعملة والشاذة وتبيين ما تحمله هذه القراءات من المعاني.

وقد جمع أبو حيان في تفسيره بين التفسير بالمأثور و التفسير بالرأى:-

(أ) أما بالنسبة للتفسير بالمأثور فإنه دائماً يذكر الآثار الثابتة عن سيدنا رسول الله (ص) في الآية وما ورد أيضاً عن الصحابة و التابعين الثقات دون تقييد بذكر الأسانيد التي عني بها غيره من المفسرين في المأثور ، وهو لا يلتزم دائماً بتخريج الأحاديث ونسبتها إلى مصادر مصنفها وفي بعض الأحيان لا يذكر راوى الحديث ، اكتفاء منه بشهرة الحديث بين المفسرين و العلماء ، و لا يلتزم الصحة أيضاً وهذا نادر جداً .

(ب) أما بالنسبة للنوع الثاني وهو التفسير بالرأى :-

فإننا نجد أبا حيان يقوم في تفسيره بتوضيح الجديد - الواضح - و الخفى من الآيات فيخرج الخفى من حيز الخفى إلى حيز الوضوح و التجلى .
ويلاحظ المطلع على تفسير البحر المحيط أن أبا حيان كان يراعى الكلام عن غوامض الإعراب حتى استخلص بعض المحدثين في كتابة إعراباً متكاملاً للقرآن الكريم وهذا الجانب من أهم الجوانب التي يجب أن يلاحظها العالم و الفقيه والمحدث لأن المعنى يتغير بتغير الإعراب فلا بد من العناية به .

وعنى الإمام أبو حيان في تفسيره - إضافة لما سلف - بوجوه البلاغة التي تمثل عنده وجهة و جهات الإعجاز القرآنى فكان يذكر عند انتهاء الكلام على الآية المواطن البلاغية من بيان و معان و بديع ، و يعد أوجه البيان في الآية .

وإضافة إلى ما سبق من الظواهر التي نستطيع رصدها في منهج أبى حيان في تفسيره نجده عندما يعرض لتفسير آيات الأحكام يتعرض لذكر كلام الصحابة والأجلاء و التابعين الثقات ومن بعدهم مع بيان المذاهب الأربعة ، ويضاف إلى الوسائل التي استعان بها في تفسيره ذكره الشواهد الشعرية ليدلل بها على قضايا

«اللغة والنحو» لم يكده أبو حيان بتناول كلمة من الناحية النحوية إلا أتى عليها بشاهد شعري .

نهاية بعد تعرضنا على بعض القضايا التي تتعلق بتفسير البحر المحيط للإمام أبي حيان نعرض نموذج عن هذا التفسير .

نموذج من تفسير البحر المحيط

يقول أبو حيان في تفسير بعض آية البقرة

﴿ قل أتحتاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون ﴾

(قل أتحتاجوننا في الله وهو ربنا وربكم) سبب النزول قيل : أن اليهود والنصارى قالوا : يا محمد إن الأنبياء كانوا منا وعلى ديننا ، ولم تكن من العرب . ولو كنت نبياً لكنت منا وعلى ديننا ، وقيل : حاجوا المسلمين ، فقالوا (نحن : أبناء الله وأحباؤه) وأصحاب الكتاب الأول ، وقبلتنا أقدم فنحن أولى بالله منكم فأنزلت ، قرأ الجمهور : (أتحتاجوننا) بنونين إحداهما نون الرفع والأخرى الضمير ، وقرأ زيد بن ثابت والحسن والأعمش وابن محيصن بإدغام النون في النون ، وأجاز بعضهم حذف النون أما قراءة الجمهور فظاهرة ، وأما قراءة زيد ومن ذكر معه فوجهها أنه لما التقى مثلاًن ، وكان قبل الأول حرف مد ولين جاز الإدغام كقولك : هذه دار راشد ، لأن المد يقوم مقام الحركة في نحو جعل لك ، وأما جواز حذف النون الأولى فوجه من أجاز ذلك على قراءة من قرأ (فبم تبشرون) (الحجر : ٥٤) يكسر النون وأنشدوا :

تراه كالثغام يعمل مسكا يسوء الفاليات إذا فلينى

يريد فليتنى والخطاب بقوله قل للرسول أو للسامع والهمزة للإستفهام مصحوباً بالإنكار والواو ضمير اليهود والنصارى ، وقيل : مشركوا العرب إذ قالوا (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) (الزخرف : ٣١) . وقيل : ضمير اليهود والنصارى والمشركين ، والمحاجة هنا : المجادلة . والمعنى أتجادلوننا في شأن الله وإصطفاؤه النبي من العرب دونكم ، وتقولون لو أنزل الله على أحد لانزل

علينا وتروونكم أحق بالنبوة منا ؟! زعموا ربنا وربك . الجملة حالية يعنى أنهم مالكم كلهم . فهم مشتركون فى العبودية . فله أن يخص من يشاء بما يشاء من الكرامة . والمعنى أنه مع اعترافنا كلنا أنا مربوبون لرب واحد فلا يناسب الجدال فيما شاء من أفعاله وما خص به بعض مربوباته من الشرف والزلفى ، لأنه متصرف فى كلهم تصرف المالك ، وقيل المعنى لاتجادلوننا فى دين الله . وتقولون : إن دينكم أفضل الأديان وكتابكم أفضل الكتب ؟ والظاهر إنكار المجادلة فى الله حيث زعمت النصارى أن الله هو المسيح وحيث زعم بعضهم أن الله ثالث ثلاثة . وحيث زعمت اليهود أن الله له ولد ، وزعموا أنه شيخ أبيض الرأس واللحية الى ما يدعونه فيه من سمات الحدوث والنقص تعالى الله عن ذلك ، فأنكر عليهم كيف يدعون ذلك ، والرب واحد لهم ، فوجب أن يكون الاعتقاد فيه واحداً وهو أن تثبت صفاته العلا ، وينزه عن الحدوث والنقص ، (ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم) المعنى : ولنا جزاء أعمالنا إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، والمعنى : أن الرب واحد وهو المجازى على الأعمال فلا تنبغى المجادلة فيه ولا المنازعة (ونحن له مخلصون) ولما بين القدر المشترك من الربوبية والجزاء ذكر ما يميز به المؤمنون من الإخلاص لله تعالى فى العمل والإعتقاد وعدم الإشراك الذى هو موجود فى النصارى وفى اليهود ، لأن من عبد موصوفاً بصفات الحدوث والنقص فقد أشرك مع الله إلهاً آخر ، والمعنى أنا لم نشب عقائدنا وأفعالنا بشيء من الشرك كما ادعت اليهود فى العجل والنصارى فى عيسى ، وهذه الجملة من باب التعريض بالذم ، لأن ذكر المختص بعد ذكر المشترك نفى لذلك المختص عمن شارك فى المشترك ، ويناسب أن يكون استطراداً وهو أن يذكر معنى يقتضى أن يكون مدحاً لفاعله وذمّاً لتاركه نحو قوله :

وإنا لقوم ما نرى القتل سبه إذا ما رآته عسرو سول

وهى منبهة على أن من أخلص لله كان حقيقاً أن يكون من الأنبياء وأهل الكرامة ، وقد كثرت أقوال أرباب المعانى فى الإخلاص ، فروى أن رسول الله (ص) قال : سألت جبريل عن الإخلاص ما هو ؟ فقال : سألت رب العزة عن الإخلاص ما هو ؟ فقال : سر من أسرارى استودعته قلب من أحببته من عبادى ، وقال سعيد بن

جبیر : الإخلاص أن لا يشرك في دينه ولا يرأى في عمله أحداً ، وقال الفضيل : ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك . والإخلاص أن يعافيك الله منهما ، وقال ابن معاذ : تمييز العمل من الذنوب كتمييز اللبن من بين الفرث و الدم ، وقال البوشنجي : هو معنى يكتبه الملكان و لا يفسده الشيطان و لا يطلع عليه الإنسان . أى لا طلع عليه إلا الله ، وقال رويم : هو ارتفاع عملك عن الرؤية . وقال حذيفة المرعشي : أن تستوى أفعال العبد في الظاهر و الباطن . وقال أبو يعقوب المكفوف : أن يكتم العبد حسناته كما يكتم سيئاته ، وقال سهل : هو الإفلاس ومعناه : أن يرجع إلى احتقار العمل . وقال أبو سليمان الداراني : للمرائي ثلاث علامات بكسل إذا كان وحده و ينشط إذا كان في الناس و يزيد في العمل إذا أثنى عليه ، و هذا القول الذي أمر به (ص) أن يقوله على وجه الشفقة و النصيحة في الدين لينبهوا على أن تلك المجادلة منكم ليست واقعة موقع الصحة و لا هي مما ينبغي أن تكون . و ليس مقصوداً بهذا التنبيه دفع ضرر منكم و إنما مقصودنا نصحكم و إرشادكم إلى تخليص اعتقادكم من الشرك ، و أن تخلصوا كما أخلصنا ، فنكون سواء في ذلك .

هوامش

- ١- نفح الطيب ٢ / ٢٨٩ ، والنجوم الزاهرة ١٠ / ١١١ ، وتتممة المختصر ٢ / ٤٨ ،
وشذرات الذهب ٦ / ٤٥ .
- ٢- راجع ابن العماد ، الشذرات ٦ ص ١٤٥ ، المقرئ ، نفح الطيب ٢ / ١٩٤ .
- ٣- ابن الجذري . غاية النهاية ، ٢ / ٢٨٥ ، وراجع الشوكاني ، البدر الطالع ٢٢ / ٢٨٨ .
راجع ابن شاعر الكتبي ، فوات الوفيات . ٢ / ٥٥٥ ، وابن حجر ، الدرر الكامنة ،
٥ / ٧٥ .
- ٤- راجع ترجمته في : البغية ١١ / ٣٩١ ، ٢٩٢ ، والشذرات ٦ / ١٦ غاية النهاية
١ / ٣٢ ، البدر الطالع ١ / ٣٣ ، تذكرة الحفاظ ١ / ٨٩ ، الدرر الكامنة ١ / ٨٩ .
- ٥- راجع ترجمته في البغية ١ / ٣٥ غاية ١ / ٢٤٢ ، طبقات المفسرين للداودي
١ / ٥٠ .
- ٦- راجع ترجمته في : البغية ٢ / ١٩٩ ، والأبدي : بهمة مضمومة وباء موحدة مشددة
مفتوحة وذال معجمة منسوب إلى أبدة بلد من بلاد الأندلس .
- ٧- راجع ترجمته في : البغية ١ / ١٩٤ ، حسن المحاضرة ١ / ٣٠٧ .
- ٨- راجع ترجمته في : البغية ١ / ١٣-١٤ .
- ٩- راجع ترجمته في : البغية ١ / ٢٤-٢٧٤ .
- ١٠- راجع ترجمته في : غاية النهاية ١ / ٨٧ (٣٩٣)
- ١١- راجع ترجمته في : البغية ١ / ٤٠٢-٤٠٣ .
- ١٢- راجع ترجمته في : غاية النهاية ١ / ٣٥٩ (١٥٣)
- ١٣- راجع ترجمته في : غية النهاية ٢ / ٣٨٥ .
- ١٤- راجع ذكر مصنفاته في الدرر الكامنة ٥ / ٧٠ ، البغية ١ / ٢٨٣ ، طبقات الشافعية
٦ / ٣١ ، البدر الطالع ٢ / ٢٨٢ ، كشف الظنون ٢ / ١١٥٢ .
- ١٥- هو كتاب مطبوع ومتداول بين أهل العلم طبع مرتين الأول بمطبعة الإخلاص
بحمالة سنة ١٢٤٥ والثانية ببغداد قامت بتحقيقه الدكتورة خديجة الحديثي .

١٦- طبع هذا الكتاب بمطبعة المعارف، بغداد سنة ١٩٦١م مع كتيب آخر باسم
"الفرق بين الفاء والظاء"

١٧- طبع هذا الكتاب بالقسطنطينية سنة ١٢٠٩هـ

١٨- شرح ابن هشام هذا الكتاب بكتاب سماه فوح الشذ في مسألة كذا

١٩- وهو مخطوط وتوجد منه نسخة بدار الكتب المصرية والمكتبة الظاهرية بدمشق
رقم (١٨٤٥) عام. ويقع في ثمانية عشر ورقة

٢٠- وتوجد من هذا الكتاب نسخة بدار الكتب المصرية رقم (٢٦٤)

٢١- وقد شرح ابن هشام هذا الكتاب وهذا الكتاب توجد منه بدار الكتب المصرية
رقم (١٠٥٠) نحو وقد طبع شرح ابن هشام في جزأين بتحقيق الدكتور هادي
سنة ١٩٧٧

٢٢- هذا الكتاب اختصار المقرب لابن عصفور ويوجد منه نسخة في معهد
المحفوظات العربية رقم (٣٨)

٢٣- توجد منه نسخة في معهد المخطوطات العربية رقم (٣٢)

٢٤- توجد من هذا الكتاب نسخة في دار لكتب المصرية تحت رقم (٢٤) نحو

٢٥- هذا الكتاب تلخيص كتاب الممتع في التصريف توجد منه نسخة بدار الكتب
المصرية تحت رقم (٢٤)

٢٦- توجد من هذا الكتاب نسخة في دار الكتب المصرية تحت رقم (٦٢) نحو.

الإتقان فى علوم القرآن

الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى

عصر السيوطي و نشأته : -

كان سقوط بغداد في منتصف القرن السابع الهجري (٦٥٦ هـ) نذير شؤم على الأمة الإسلامية ، فمع سقوط الدولة العباسية تفرقت كلمة المسلمين وتفتت دولهم ، فقد انحازت العراق وفارس إلى المغول ، وآل الأمر في اليمن إلى إمارات صغيرة ، في عدن و زبير صنعاء و انتهت حكومات المغرب إلى دويلات يحارب بعضها بعضاً ، ولم يقف هذا الأثر عند حد بلاد العرب القديمة وإنما تعدى ذلك إلى بلاد الأندلس إذ أخذ ظل الإسلام ينحسر عن هذه البلاد . إلى أن انجلى عنها في صورة حزينة مؤلمة .

على الرغم من ذلك فإننا في هذه الفترة نجد شعاع الأمل ينبعث من جديد، إذ بدأت بلاد مصر و الشام تحمل قبس العلم و تنشر المعرفة ، فأخذت كلاً من مصر و الشام بزمام الحركة العلمية و الأدبية ، وأصبحت الملجأ الوحيد لأبناء هذا اللسان ، في مملكة واحدة ، حضارتها القاهرة و لغتها العربية ، وغايتها حماية الدين .
وقد عني أمراء الدول المختلفة الذين تعاقبوا على مصر كالأيوبيين والمماليك بتعظيم الدين و أهله فأخذوا بيد العلم و رفعوا من قدر العلماء فأصبحت القاهرة و الإسكندرية و أسيوط و قوص و دمشق و حلب و حمص تموج بأعيان العلماء ، من الفقهاء و الأدباء و المؤرخين و الشعراء ، وأصحاب المعاجم و مؤلفي الموسوعات ، و كان منهم ابن خلكان و ابن منذور ، و الصفدي ، و ابن نباته ، و النويري ، و العمرى ، و ابن تيمية ، و السخاوي ، و المقريزي و غيرهم ؛ من جهابزة العلم و أعيان المحققين . (١)

في ذلك العصر المائج نشأ الإمام عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الهمام الخضيرى الأسيوطي (٢) .

فقد كان مولد الإمام السيوطي ليلة الأحد مستهل رجب عام ٨٤٩ هـ الموافق بالتاريخ الميلادي الثالث من شهر أكتوبر عام ١٤٤٥ م وقد كان ذلك

بمدينة القاهرة بعد انتقال أبيه إليها من أسوط بمدة طويلة . و كان أبوه من علماء
الفقه الشافعي وقد توفي في صفر عام ٨٥٥ هـ - مارس ١٤٥١ م .

في هذه البيئة العلمية نشأ الإمام السيوطي فآتم حفظ القرآن وهو في
الثامنة من عمره ، وقد حفظ بعد ذلك عمدة الأحكام ، و المنهاج الفرعي في الفقه
للنبوي ، و المنهاج في الأصول له أيضاً ، و ألفية المنهاج في النحو ، و منهاج
البيضاوي ، و أخذ علوم الفقه و النحو و الفرائض ، و إجاز للتدريس وهو ابن السابعة
عشر ، و قد أتقن عدداً من العلوم و ألف فيها كعلم التفسير و الأصول و النحو
والمعاني (٣) .

شيوخه : -

روى الشعراني تلميذ السيوطي عن شيخه أن شيوخه بلغوا ستمائة و قد
نظمهم في أرجوزة و قسمهم إلى طبقات أربع ، لكننا لسنا في مجال هؤلاء الشيوخ
بل نحاول أن نذكر أكبرهم خطراً و أبعدهم أثراً على شيخية السيوطي العلمية .

١ - ابن حجر العسقلاني : -

على الرغم من أن السيوطي لم يحضر مجلس ابن حجر إلا في طفولته
بصحبة أبيه فإنه كان له أثره الكبير عليه ، و قد روى عنه معتمداً على الإجازة
العامة (٤) .

٢ - تقي الدين الشمتي الحنفي : -

و قد لزمه السيوطي في الحديث و النحو أربع سنوات و الشمتي هو تقي
الدين أبو العباس أحمد بن كمال الدين ولد بالإسكندرية عام ٨٠١ هـ و له مصنفات
عديدة حاشية على مغني اللبيب لابن هشام سماها ((المصنف من الكلام على مغني
غبن هشام)) و له المصنف من الكلام الذي نال شهرة كبيرة . (٥) .

٣ - محيي الدين الكافيجي : -

لقب الكافيجي على ما يقال لكثرة اشتغاله بكافية ابن الحاجب في النحو و
قد لزمه السيوطي أربعة عشر سنة ، و الكافيجي هو محيي الدين محمد بن سليمان
بن سعد بن مسعود الرومي (٦)

٤ - سيف الدين الحنفى :-

هو محمد بن محمد بن عمر بن قطلوبغا البكتمرى ولد عام ٨٠٠ هـ . وقد برع فى الفقه و الأصول و النحو توفى فى ذى القعدة عام ٨٨١ هـ و هو آخر شيوخ السيوطى موتاً .

إذا كان هؤلاء الأربعة هم أهم شيوخ الإمام السيوطى فهناك غيرهم كثير مثل شيخ الإسلام البلقينى أكبر فقهاء الشافعية فى عصره . و شرف الدين المناوى فى التفسير و الفقه إلخ .

مصنفاته :- (٧)

كان الإمام السيوطى كثير الكتابة و التأليف إلى حد جعل مقامنا هذا ينوء بذكرها إذ بلغت مصنفاته ما يقارب ستمائة مصنف ما بين كتاب يقع فى عدة مجلدات أو فى مجلد واحد أو فى رسالة صغيرة ، لذا نذكر بعض هذه المصنفات على سبيل التمثيل فيما يأتى مركزين على المصنفات الدينية .

- ١- الاتقان فى علوم القرآن
- ٢- إتمام الدراية لقراء النقاية
- ٣- الأشباه والنظائر فى الفقه
- ٤- تحذير الخواص من أكاذيب القصاص
- ٥- ترجمان القرآن فى التفسير المسند
- ٦- تنوير الحوالك شرح علي موطأ مالك
- ٧- الجامع الصغير لأحاديث البشير النذير
- ٨- مع الجوامع فى الحديث
- ٩- الحاوي للفتاوي (جمع به جانباً كبيراً من فتاواه و رسائله المتنوعة)
- ١٠- الدرر المنثور فى التفسير بالمأثور
- ١١- شرح ألفية العراقي فى الحديث
- ١٢- طبقات المفسرين

١٣- الآلئ المصنوعة فف الآءاءف الموضوعة

١٤- معرك الأقران فف إعجاز القرآن

ونشر ففما فلف فف ءراسة كتاب الإمام السفوطف (الإقآن فف علوم القرآن):-وهو أهم كآبه ففما نرى.

الءراسة:

فء كتابه الإقآن فف علوم القرآن من أهم كآب المكآبة القرآففة ففو من أكثر هءه المصنفاء إلساءا وجمعا لكآفر من القضافا المآعلقة بالنص القرآفف الكرفم. وآآءءر الإشارة هنا لف أن هءه النوعفة من الءراساء لم تكن قد آآآءآ وضعاء مسآقلا فف العصور الإسلامفة الأولى؛ وإنما وراء مآفرقة فف روافاء المآءآففن وأقوال العلماء، ومقءماء كآب المسرفن كالطبرف والزماآشرف والآوفف، وابن عطفة والقرطبف وآاء قءر منها فف كآب البلاغة والنقد؛ كءلائل الإعجاز وأسرار البلاغة والصناعآفن ونقد النثر ومفتاح العلوم؛ ومآلها فف كآب الجءل والمناظرآف، كالإنآصار للبلقائف والمغنف للقاضف عبء الجبار ومآلها أفضا فف كآب القراءاء والآكام؛ مما ذكره الكواشف والجبرف والنووف ابن الجزرف فف كآبهم الآف صنفوها.

لم فكن كتاب " الإقآن فف علوم القرآن " أول المصنفاء فف هءا الباب لكنه سبق بأكثر من كتاب نعرض لأهمها ففما فلف (٨):

١- صنف الإمام بءر الءفن مآء ب ن عبء الله بن بهاءر الزركشف كتابا

٢- أسماء " البرهان فف علوم القرآن " والإمام الزركشف آءء فقهاء الشاففة فف القرن الثامن، وقد آعل الكتاب فف سبعة وأربعفن بابا؛ فف أسباب النزول والناسآ والمنسوخ وأنواع القراءاء ٠٠٠ لف آآره.

٣- ثم وضع الإمام آلال الءفن عبء الرحمن بن عمر بن رسلان العسقلائف كتابا أسماء " مواقع العلوم من مواقع النآوم " وهو آءء علماء الآءف بمصر، والمآوفف بها سنة ٨٢٤، وقد عقد الكتاب علف فصول مآءوءة فف أسباب

النزول ورجال السند وطرق الأداء والألفاظ المتعلقة بها ثم المعاني المتعلقة بالأحكام.

٤- ثم قام الإمام محي الدين الكافيجي فدون كتابا لطيفا في هذا الشأن ذكر فيه جملا من التفسير والتأويل وطرفا من العلم والمتعلم .

٥- ثم جاء بعد ذلك جلال الدين السيوطي نفسه وألف كتابا أسماه التمييز في علوم التفسير ضمنه أكثر من مائة باب لكنه لم يشف غله فراح يدمج

٦- أبوابا ويزيد أبوابا أخرى مبتعدا بكتابه عما يشوبه من لبس أو إبهام فكان الكتاب المسمى "الإتقان في علوم القرآن" وجعله مقدمة لكتابه في التفسير الذي أسماه "مجمع البحرين ومطلع البدرين" وجعله في ثمانين بابا.

بدأ الإمام السيوطي كتاب الإتقان في علوم القرآن بالكلام علي المدني والمكي ثم الكلام علي الحضري والسفري ثم النهاري والليلي والناسخ والمنسوخ وأسباب النزول وأنواع القراءات وآداب حمل القرآن وحفظه وهكذا مضى في الأبواب إلي أن ختمها بالنوع الثمانين في طبقات المفسرين وطريقته بالتصنيف بأن يذكر عنوان الموضوع ويذكر أشهر من ألف فيه ثم يشفعه بفائدة معرفته، وأهميته في تفهم القرآن وتفسير معانيه، ثم يذكر مسأله، وما عساه أن يكون لها من فروع وذيول مستشهدا في كل ذلك بالقرآن أو الحديث أو أقوال العلماء وينقل نصوصا من الكتب التي ألفي فيه فصولا كاملة أو مختصرا منها وكثيرا ما يذيل هذه الأبواب برأيه بعد أن يورد كلمة "قلت"...

ومن أهم ما يمتاز به كتاب الإتقان في علوم القرآن أنه أورد لنا كثيرا من نصوص الكتب التي لم تصل إلينا من ذلك بعض كتب الجبري والباقلاني والزملكاني وابن الأنباري وغيرهم وهذه النصوص المقتبسة نجدها منشورة بين طيات الكتاب.

علي الرغم مما عددناه من فضائل هذا الكتاب فإننا لا نعدم وجود مواطن نقص فيه من هذا أن الامام السيوطي ذكر فيه متن كتابة بعض الأحاديث الضعيفة ولكن تقل وطأة هذا الفعل إذا علمنا أن السيوطي كان حريصا علي ذكر الإسناد في

كل حديث ولعل هذا يجعل العلماء يستطيعون الحكم علي الحديث عن طريق إسناده.

ولما لكتاب الإتقان هذه الأهمية الكبرى ثبتت العناية به من قبل العلماء والدارسين فقد كان من أوائل الكتب التي طبعت فطبع لأول مرة في علكتا سنة ١٢٧١ وطبع بمصر سنة ١٢٧٨ وبالمطبعة الكاسلية سنة ١٢٧٩ وبمطبعة عثمان عبد الرازق سنة ١٣٠٦ وبالمطبعة اليمينية سنة ١٣١٢ وبالمطبعة الأزهرية سنة ١٣١٨ ٠٠٠ ثم توالى طباعته وأصبحت هذه الطباعات - في نظر محمد أبو الفضل إبراهيم - طبعة الكاسلية ونهاية نشير إلى الطبعة التي اعتمدنا عليها في درسنا وهي التي نشرتها دار التراث بتحقيق جيد قام محمد أبو الفضل إبراهيم سنة ١٩٦٧ .

نموذج من كتاب الإتقان في علوم القرآن للسيوطي

*النوع الثامن والثلاثون:

" فيما وقع فيه بغير لغة العرب "

قد أفردت في هذا النوع كتابا سميته : " المذهب فيما وقع في القرآن من المعرب " وها أن أخص هنا فوائده فأقول : اختلف الأئمة في وقوع المعرب في القرآن فالأكثر ومنهم الإمام الشافعي وابن جرير وأبو عبيده والقاضي أبو بكر بن فارس علي عدم وقوعه فيه لقوله تعالى (قرآنا عربيا) (١) وقوله تعالى : (ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي) (٢) وقد شدد الشافعي النكير علي القائل بذلك .

وقال أبو عبيده : إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول ومن زعم أن كذا بالنبطية فقد أكبر القول .

وقال بن فارس : لو كان فيه من لغة غير العرب شئ لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله لأنه أتى بلغات لا يعرفونها .

وقال بن جرير : ما ورد عن بن عباس وغيره من تفسير ألفاظ من القرآن أنها بالفارسية أو الحبشية أو النبطية أو نحو ذلك إنما اتفق فيها توارد اللغات فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد .

وقال غيره: بل كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلغتهم بعض مخالطة لسائر اللسان في أسفارهم فلفت من لغاتهم ألفاظ غيرت بعضها بالنقص من حروفها واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها مجري العربي الفصيح ووقع بها البيان وعلي هذا الحد نزل بها القرآن .

وقال آخرون: كل هذه الألفاظ عربية صرفة ولكن لغة العرب متسعة جدا ولا يبعد أن تخفي علي الأكابر الجلة وقد خفي علي بن عباس معني ((فاطر)) و((فاتح)). قال الشافعي في الرسالة: لا يحيط باللغة إلا نبي .

وقال أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك: إنما وجدت هذه الألفاظ في لغة العرب لأنها أوسع اللغات وأكثرها ألفاظا ويجوز أن يكونوا سبقوا إلي هذه الألفاظ .
وذهب آخرون إلي وقوعه فيه وأجابوا عن قوله تعالى (قرآنا عربياً) بأن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربياً والقصيدة الفارسية لا تخرج عنها بلفظة فيها عربية وعن قوله تعالى: (أعجمي وعربي)

المعني من السياق: "أكلام أعجمي ومخاطب عربي" واستدلوا باتفاق النحاة علي أن منع صرف نحو "إبراهيم" للعلمية والعجمة ورد هذا الاستدلال بأن الأعلام ليست محل خلاف فالكلام في غيرها موجه بأنه إذا اتفق علي وقوع الأعلام فلا مانع من وقوع الأجناس وأقوي ما رأيته للوقوع - وهو اختياري - ما أخرجه بن جرير بسند صحيح عن أبي ميسرة التابعي الجليل قال: في القرآن من كل لسان.
وروى مثله عن سعيد بن جبير ووهب بن منبه.

فهذه إشارة إلي أن حكمة وقوع هذه الألفاظ في القرآن أنه حوى علوم الأولين والآخرين ونبا كل شئ فلا بد أن تقع فيه الإشارة إلي أنواع اللغات واللسن ليتم إحاطته بكل شئ فاختر له من كل لغة أعذبها وأخفها وأكثرها استعمالاً للعرب ثم رأيت ابن النقيس صرح بذلك فقال: من خصائص القرآن علي سائر كتب الله تعالى المنزلة أنها أنزلت بلغة القوم الذين أنزلت عليهم ولم ينزل فيها شئ بلغة غيرهم والقرآن احتوى علي جميع لغات العرب وأنزل فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس

والحبشة شئ كثير . انتهى وأيضا النبي صلى الله عليه وسلم مرسل إلي كل أمة وقد قال تعالى:

(وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) فلا بد وأن يكون في الكتاب المبعوث به من لسان كل قوم وإن كان أصله بلغة قومه هو.

وقد رأيت الخويى ذكر لوقوع المعرب في القرآن فائدة أخرى فقال: إن قيل أن "إستبرق" ليس بعربى وغير العربى من الألفاظ دون العربى في الفصاحة والبلاغة فنقول: لو اجتمع فصحاء العرب وأرادوا أن يتركوا هذه اللفظة ويأتوا بلفظ يقوم مقامها في الفصاحة لعجزوا عن ذلك وذلك لأن الله تعالى إذا حث عباده علي الطاعة فإن لم يرغبهم بالوعد الجميل ويخوفهم بالعذاب الويل لا يكون حثه علي وعد الحكمة فالوعد والوعيد نظرا إلي الفصاحة واجب ز ثم إن الوعد بما يرغب فيه العقلاء وذلك منحصر في أمور: الأماكن الطيبة ثم المآكل الشهية ثم الشارب الهنية ثم الملابس الرفيعة ثم المناكح اللذيذة ثم ما بعده مما يختلف فيه الطباع فإذا ذكر الأماكن الطيبة والوعد به لازم عند الفصيح ولو تركه لقال من أم بالعبادة ووعد عليا بالأكل والشرب لا ألتذ به إذا كنت في حبس أو موضع كربه فإذا ذكر الله الجنة ومساكن طيبة فيها وكان ينبغي أن يذكر من الملابس ما هو أرفعها وأرفع الملابس في الدنيا الحرير وأما الذهب فليس مما ينسج منه ثوب ثم إن الثوب الذى من غير الحرير لا يعتبر فيه الوزن والثقل وربما يكون الصفيق الخفيف أرفع من الثقيل الوزن وأما الحرير فكلما كان ثوبه أثقل كان أرفع فحينئذ وجب علي الفصيح أن يذكر الأثقل الأثخن ولا يتركه في الوعد لئلا يقصر في الحث والدعاء ثم هذا الواجب الذكر إما أن يذكر بلفظ واحد موضوع له صريح أو لا يذكر بمثل هذا ولا شك أن الذكر باللفظ الواحد الصريح أولى لأنه أوجز وأظهر في الإفادة وذلك "إستبرق" فإن أراد الفصيح أن يترك هذا اللفظ ويأتى بلفظ آخر لم يمكنه لأن ما يقوم مقامه إما لفظ واحد أو ألفاظ متعددة ولا يجد العربى لفظا واحدا يدل عليه لأن الثياب من الحرير عرفها العرب من الفرس ولم يكن لهم بها عهد ولا وضع في اللغة العربية للديباج الثخين اسم وإنما عربوا ما سمعوا من العجم واستغنوا به عن الوضع لقلة وجوده

عندهم وزرة تلفظهم به وأما إن ذكره بلفظين فأكثر فإنه يكون قد أخل بالبلاغة لأن ذكر لفظين لمعني يمكن ذكره بلفظ تطويل فلم بهذا أن لفظ "إستبرق" يجب علي كل فصيح أن يتكلم به في موضعه ولا يجد ما يقوم مقامه وأى فصاحة أبلغ من أن لا يوجد غيره مثله !. انتهى وقال أبو عبيد القاسم بن سلام بعد أن حكى القول بالوقوع عن الفقهاء والمنع عن العربية: والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعا وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء لكنها وقعت للعرب فعربت بها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم إلي ألفاظها فصارت عربية ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب فمن قال إنها عربية فهو صادق ومن قال: أعجمية فصادق ومال إلي هذا القول الجواليقي وابن الجوزي وآخرون.

وهذا سرد الألفاظ الواردة في القرآن من ذلك مرتبة علي حروف المعجم :

(أباريق): حكى الثعالبي في فقه اللغة أنها فارسية وقال الجواليقي : الإبريق فارسي معرب ومعناه طريق الماء أو صب الماء علي هيئة .

(اب): قال بعضهم: هو الحشيش بلغة أهل الغرب حكاة شيدلة

(ابلعي) : أخرج ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه في قوله تعالى :

(ابلعي ماءك)

قال: بالحبشية "أزدرديه" وأخرج أبو الشيخ من طريق جعفر بن محمد عن أبيه قال : اشربي بلغة الهند

(اخلد): قال الواسطي في الإرشاد : أخلد إلي الأرض، ركن بالعبرية.

(الأرائك): حكى بن الجوزي في فنون الأفنان أنها السرر بالحبشية

(آزر): عد في المعرب علي قول من قال : إنه ليس بعلم لأبي إبراهيم ولا للصم وقال ابن أبي حاتم: ذكر عن معتمر بن سليمان قال: سمعت أبي يقرأ:(وإذا قال إبراهيم لأبيه آزر) يعني بالرفع قال: بلغني أنها أعوج وأنها أشد كلمة قالها إبراهيم لأبيه.

وقال بعضهم: هي بلغتهم يا مخطئ.

(أسباط): حكى أبو الليث في تفسيره أنها بلغتهم كالقبايل بلغة العرب.

(إستبرق): أخرج بن أبي حاتم عن الضحاك أنه الديباج الغليظ بلغة العجم.

(أسفار): قال الواسطى في الإرشاد: هي الكتب بالسريانية وأخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك قال: هي الكتب بالنبطية.

(إصرى): قال أبو القاسم في لغات القرآن : معناه عهدى بالنبطية.

(أكواب): حكى بن الجوزي أنها الأكواز بالنبطية وأخرج ابن جرير عن الضحاك أنها بالنبطية جرار ليست لها عرى.

(إل): قال ابن جنى:ذكروا أنه اسم الله تعالى بالنبطية.

(أليم): حكى ابن الجوزي أنه الموجه بالزنجية وقال شيدلة : بالعبرانية.

(إناه): نضجه بلسان أهل المغرب ذكره شيدله وقال أبو القاسم : بلغة البربر وقال في قوله تعالى:(حميم آن) هو الذى انتهى حره بها وفي قوله تعالى: (من عين آنية): أى حارة بها .

(أواه): أخرج أبو الشيخ بن حبان من طريق عكرمة عن ابن عباس قال:الأواه الموقن بلسان الحبشة وأخرج أبي حلتهم مثله عن مجاهد وعكرمة وأخرج عن عمرو بن شرحبيل قال : الرحيم بلسان الحبشة وقال الواسطى : الأواه الدعاء بالعبرية.

هـوامش

- ١- راجع محمد أبو الفضل إبراهيم، تصديره لكتاب الإتيان في علوم القرآن
- ٢- السيوطي. حسن المحاضرة ج١ ص ١٨٨ وراجع العيدروسي. تاريخ النور السافر ص ٥٤، ابن العماد: شذرات الذهب ج٨ ص ٥١
- ٣- راجع شذرات الذهب ج٨ ص ٥٢، حسن المحاضرة ج١ ص ١٨٨، السخاوي ج١ ص ٦٥
- ٤- راجع حسن المحاضرة ج١ ص ١٩٠، السيوطي. ذيل طبقات الحفاظ للذهبي ص ٢٨٢، ٢٨١ السيوطي. نظم العقيان في أعيان الأعيان ص ٤٦
- ٥- راجع السيوطي. بغية الوعاة ص ١٦٢، ١٦٣، د. شوقي ضيف. المدارس النحوية ص ٢٥٧
- ٦- راجع السيوطي. بغية الوعاة ص ٤٨، حسن المحاضرة ج١ ص ٢١٨، ٢١٧، ابن إياس. بدائع الزهور ج٢ ص ١٥١، ١٥٢
- ٧- راجع د. طاهر سليمان حمودة، المطالع السعيدة شرح السيوطي على ألفيته المسماة بالفريدة في النحو والتصريف والخط ص ٢٠ وما بعدها.
- ٨- راجع تصدير محمد أبو الفضل إبراهيم لكتاب الإتيان ص ٧ وما بعدها

الفصل الثانى

مصادر المكتبة العربية فى اللغة

والنحو والمعاجم

ليس من شك في أن اللغة تمثل لاي شعب من الشعوب قديماً وحديثاً أهمية خاصة فتمثل لهم رمزاً قومياً يحرصون عليه ويتمسكون به ويدافعون عنه ويغارون عليه .

ولما كانت اللغة بجميع مستوياتها تشكل المادة الأساسية والأولية لفن الكلام شعراً ونثراً كان حرص العلماء الشديد على دراستها والمحافظة عليها ، ومن الثابت أن اللغويين يعدون الكلمة المفردة أهم الوحدات الدلالية لأنها تشكل أهم مستوى أساسى للوحدات الدلالية حتى اعتبرها بعضهم الوحدة الدلالية الصغرى (١) ويذهب أبو الفتح عثمان بن حنبى فى خصائصه إلى أن الألفاظ دليل المعانى وأن الأصل فى الدلالة أن تستمد من الكلمات المفردة (٢) .

لهذا عنى العرب منذ العصر الجاهلى بلغتهم عناية فائقة ، فكانوا يحتفون بالشعر والشعراء بوصف الشعر مظهراً من مظاهر هذه اللغة وكانوا يعنون بالأسواق الأدبية التى كان يتبارى فيها الشعراء والخطباء كسوق عكاظ وذى المجنة حيث كان الشعراء يقدون لعرض أشعارهم على المحكمين وهم شعراء معروفون لهم علم دقيق بالشعر وصناعته ، وكان العرب - كذلك - يبعثون أطفالهم إلى مواطى اللهجات الفصيحة ليتعلموا اللغة من منابعها الأصيلة ومثال ذلك الرسول الكريم (ص) إذ نشأ فى بنى سعد بن بكر بن هوازن فى فترة طفولته ، من مظاهر عناية العرب بلغتهم أيضاً أنهم كانوا يدفعون صبيانهم إلى أديبانهم وشعرائهم ليعيشوا معهم وينشأوا على تفوقهم اللغوى كما حدث مع زهير بن أبى سلمى ونشأته مع خاله بشامة بن الغدير الشاعر (١٣) .

وقد استمرت هذه العناية باللغة العربية من قبل أهلها فى العصور الإسلامية إذ عنى علماء العربية بدراسة اللغة العربية وجمعها وبحث قواعدها "منظمة حفظاً لها وحرصاً عليها ، وقد دفعهم هذا إلى أن اللغة العربية هى لغة القرآن الكريم والوسيلة الأولى لإعجازه ، وهذا - لاشك - جعل للمصادر التى تعنى بدراسة العربية أهمية عظيمة ومكانة كبرى فى تاريخ المكتبة العربية ، وقد تنوعت هذه المصنفات اللغوية

بين معاجم وكتب في النحو و الصرف و الدراسات المختلفة التي كانت بؤرة اهتمامها دراسة العلاقات بين اللفظ و المعنى .

و لدينا في المكتبة العربية الموروثة عدد ضخم من معاجم الألفاظ مثل كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠ م) و يعد أول معجم للألفاظ وضع في اللغة العربية ، و النوادر لأبي زيد الأنصاري سعيد ابن أوس (٢١٥ هـ) ، و الجمهرة في اللغة لأبن دريد أبو بكر محمد بن الحسين (ت ٣٢١ هـ) ، و الأضداد لأبن الأنباري أبو بكر محمد بن القاسم (ت ٢٦٧ هـ) ، و المصباح المنير للمقدسي ، أحمد بن محمد (ت ٢٨٠ هـ) ، و الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية للجوهري . أبو نصر اسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣ هـ) و مختار الصحاح ، للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، و أساس البلاغة للزمخشري . محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ) ، و لسان العرب لابن منظور ، محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ) ، و القاموس المحيط للفيروز آبادي مجد الدين بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ) .

أما كتب النحو في العربية و ما عنيت بالتراكيب و المعاني و التصريف فنذكر منها على سبيل المثال الكتاب لسيبويه أبو بشر عمرو (ت ٧٨٠ هـ) ، و كتاب سيبويه هذا أول كتاب وضع لقواعد علم النحو و التراكيب في تاريخ المكتبة العربية ، و الاشتقاق للأصمعي ، أبو سعيد عبد الملك بن قريب (ت ٣٢٠ هـ) ، و كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ لابن السكيت أبو يوسف يعقوب بن اسحق (ت ٢٤٤ هـ) . و الإيضاح في علل النحو للزجاج ، إبراهيم بن السري (ت ٣١١ هـ) ، و جواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر (ت ٣٢٠ هـ) ، كتاب الإبدال لأبي الطيب عبد العال بن علي (ت ٣٥١ هـ) ، و التصريف ، و صناعة الإعراب ، و المصنف ، و الخصائص لابن جني ، أبو الفتح عثمان (ت ٤٢٩ هـ) ، مقاييس اللغة لابن فارس ، أبو الحسن أحمد (ت ٣٩٥ هـ) و فقه اللغة و سر العربية للثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩ هـ) . و المختص و كتاب المحكم لابن سيده . أبو الحسن علي بن اسماعيل (ت ٤٥٨ هـ) و أسرار العربية ، و لمع الأدلة في أصول النحو للأنباري أبو البركات عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٧٧ هـ) . الأشباه و النظائر في النحو ، و المزهر في اللغة و النحو ، و شرح

السيوطي على ألفيته التسماء بالفريدة في النحو ، والتصريف والخط للسيوطي جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١ هـ) وشرح بن خليل علي ألفية بن مالك ، بهاء الدين أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله العقيلي (ت ٧٦٩ هـ) .

وبعد نشره الآن في دراسة بعض النماذج من هذه المصادر التراثية في علوم اللغة والنحو والمعاجم علي النحو الآتي :

١- شرح السيوطي علي ألفيته التسماء بالفريدة في النحو والتصريف والخط سبق لنا دراسة كتاب آخر للإمام جلال الدين السيوطي وهو الإتقان .

٢- في علوم القرآن الذي تناولناه بالتحليل في الفصل السابق من كتابنا هذا وقد أشرنا في مطلع الدراسة إلي عصره وحياته وثقافته وشيوخه لذا لن نعيد هنا أسلفنا وإنما نحيل إلي موضوعه المذكور .

ولما كنا قد درسنا في الفصل السابق مكتبة الدراسات القرآنية ذكرنا للإمام السيوطي مصنقاته في الموضوع ذاته أما ونحن في هذا المقام فعلينا أن نذكر مصنقاته في علوم اللغة والنحو وهما بعض منها:

١- الأخبار المروية في سبب وضع علم العربية

٢- الأشباه والنظائر في النحو

٣- الاقتراح في علم أصول النحو

٤- بعية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة

٥- البهجة المرضية في شرح الألفية

٦- جمع الجوامع في النحو

٧- الألفية النحوية للسيوطي

٨- المزهر في علوم اللغة وأنواعها

٩- المطالع السعيدة في شرح الفريدة

١٠- الموشح في النحو

والآن نشره في حديثنا عن كتاب السيوطي أعني به ألفيته التسماء "الفريدة" وشرح هذه الألفية: وهذا الكتاب يعد شرحا "للسيوطي علي ألفيته في

النحو . وقد ترجم السيوطي نفسه لحياته وذكرها فيما ذكر (٤) ومقدمة هذا الكتاب الذي نحن بصدده تشبه إلي حد كبير كتابه الذي وضعه في سبب وضع علم العربية حيث أورد فيهما نقولا مكررة كما أشار فيه في أكثر من موضع إلي بعض مؤلفاته السابقة كما أن أسلوبه وطريقة عرضه تؤكد نسبته إليه فضلاً عن التصنيف (ترتيب الأبواب والأقسام) المتميز عن تصنيف ابن مالك والذي يشبه تصنيفه لكتابه جمع الجوامع الذي شرحه بهمع الهوامع، وتبريره للتصنيفين واحد فكل منهما يشمل مقدمات ثم سبعة كتب أي سبعة أقسام ينتظم كل قسم عدداً من الفصول وعلي هذا فليس ثمة شك في نسبته الفريدة إلي الإمام السيوطي (٥).

لقد طبعت المنظومة الألفية المسماة بالفريدة بالقاهرة عام ١٢٢٢ هـ، وبصدرها عبارة منسوبة إلي السيوطي وهي " هذه الألفية لخصت فيها ما في ألفية ابن مالك في ستمائة بيت وزدتها أربعمائة بيت فيها من القواعد والزوائد ما لا يستغنى طالب العلم عنه " وقد أثبت د. طاهر حمودة نسبة هذه العبارة إليه (٦).

وقد اختلف السيوطي في تقسيمه الأبواب النحوية عما صنعه ابن مالك، حيث قسم السيوطي منظومته وشرحه لها تبعاً لذلك إلي مقدمات وسبعة كتب، تناول في المقدمات الكلام وما يتألف منه والمعرب والمبنى والتكرة والمعرفة والعلم وأسماء الإشارة والمعرف بالأداة والموصول ثم الموصول الحرفي وهذا الأخير من زيادات السيوطي علي ما تناوله ابن مالك من قبل وجعل الكتاب الأول للعمد وهي المرفوعات والمنصوبات بالنواسخ والثاني للفضلات والثالث للمجروورات والمجزومات وما يتبعها والرابع للعوامل والخامس للتوابع والسادس للأبنية والسابع للتحريف واختتم المنظومة والشرح عليها بالتبعية بخاتمة في الخط ونلاحظ أن هذا الترتيب هو نفس ترتيب السيوطي في كتابه جمع الجوامع وشرحه عليه همع الهوامع ، فهو تارة صاحب منظومة يتناولها بالشرح يريد أن يزيد فيها علي ابن مالك وأخري صاحب متن ثري يتناوله بشرح عليه.

وقد قام دكتور طاهر سليمان حموده بتحقيق جيد للمخطوطة التي يشرح فيها السيوطي الفريدة معتمداً علي مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية بالخزانة

التيمورية برقم ٥٨١ نحو وقد كتبت في عام ١٢٦٢هـ بخط حسن اسماعيل بن عبد الله الموصلي ويصل عدد صفحاتها إلى ٣٣٠ صفحة بخلاف نحو خمس صفحات في آخر المخطوطة ليست للسيوطي بها بعض الأدعية والموضوعات الأخرى التي ليست للسيوطي يرجح أنها من فعل الناسخ.

خصائص شرح السيوطي:

إن الشرح الذي قام به الإمام السيوطي علي فريدته يتميز حاول السيوطي في شرحه في مواضع كثيرة مزج الدرس النحوي بما أفاده من درس اللغة والنظر في صياغتها وأبنيتها ووصف ظواهرها .

١- كان يحاول في شرحه حصر بعض الفصائل اللغوية ومن ذلك علي سبيل المثال ما صنعه في أثناء دراسته المبنية علي الكسر حيث وضع معه (فعال) ويظهر أيضا في حصره لألفاظ التغليب عند تناوله صيغة المثني كالقمرين للشمس والقمر.

٢- يظهر في شرح السيوطي بجلاء إفادته ممن سبقه من علماء النحو وتأثره بهم خصوصا نحاة مصر الذين سبقوه بقليل فقد تأثر بأبي حيان ونقل عنه كثيرا كما تأثر غاية التأثير بابن هشام وله اختيارات يميل فيها إلي ما ينسب إليهما وقد أفاد في شرحه بما فعله ابن هشام في مصنفاته وقد أقر هو نفسه ذلك في هذا الكتاب .

٣- يمثل السيوطي وكتابه أفضل تمثيل المدرسة المصرية في النحو التي تأثرت بالمدارس النحوية السابقة عليها؛ البصرية والكوفية والبغدادية

٤- والأندلسية وإن كان الأثر الأكبر لهذه المدارس في المدرسة المصرية أقرب إلي الأندلسيين .

٥- تميز الكتاب أيضا بخاصة التميز من آراء المدارس السابقة مع شئ من التغليب لمذهب الأندلسيين .

٦- إننا لا نعدم العثور من حين إلي حين علي بعض الآراء الخاصة أو مفاهيم جديدة للإمام السيوطي في كتابه تجاه بعض المسائل؛ من ذلك اختياره أن الأسماء قبل تركيبها في الجمل لا مبنية ولا معربة، والبناء

٧ - رأى ابن الحاجب وابن مالك، والإعراب رأى الزمخشري، والقول بالواسطة رأى أبي حيان واختيار السيوطي .

٨ - قد توجد في كتاب السيوطي مخالفات من قبله تجاه سيبويه والجمهور كما فعل في اختياره إعراب "أى" الموصولة في جميع حالاتها في حين يذهب سيبويه والجمهور إلى بنائها على الضم إذا أضيفت وحذف صدر صلتها مستدلين بقوله تعالى:

(ثم لنزغن من كل شعبة أيهم أشد على الرحمن عتيا) وقد تبع في هذا الرأي قول الأخفش والزجاج واحتج لرأيه بقوله الجرمي: خرجت من الخندق - يعنى خندق البصرة - حتي صرت إلي مكة فلم أسمع أحدا يقول اضرب أيهم أفضل بل كلهم ينصب ولا يضم " ، كما احتج ببعض القراءات التي نصبتها.

٩ - وقد ينفرد السيوطي برأى خاص دون النحويين كقوله أن المثني قد يبنى على الألف نيابة عن الفتحة على لغة الحارث بن كعب لقوله صلى الله عليه وسلم " لا وقران في ليلة " .

١٠ - ويتميز السيوطي كذلك في كتابه بجمعه للآراء المختلفة وحكمه على كل رأى بما يبين موقفه منه ونقده له فيذكر أنه ضعيف أو قوى أو صحيح أو مشهور والشهرة لا تعني الصحة دائما .

١١ - وقد استطاع السيوطي - أخيرا - في درسه النحوي أن يلائم بين منهجه الذى غلب عليه الطابع النقلى وبين المنهج العقلي الاستنباطى وقد كان صادقا حينما ذكر عن نفسه أنه بلغ درجة الاجتهاد في العربية وأنه ليس بعد ابن هشام نحوى مثله .

نموذج من شرح السيوطي

يقول السيوطي في إعراب المثني و جمع المذكر السالم : -

اثنين واثنين مع ما ثنيا	بالالف ارفع ، وانصبن واجريا
والقمرين بعد فتح ما تاد	وان تضاف لمضمر كلتا كلا

الباب الثانى من أبواب النياحة : المثنى . وهو كل اسم دل على اثنين بزيادة على آخره صالحة للتجريد و عطف مثله عليه نحو : زيدان ورجلان فإنه يرفع بالألف ، وينصب و يجر بالياء المفتوح ما قبلها نحو ((قال رجلان)) و جاء الزيدان ، و رأيت رجلين و الزيدين . و الحق بالمثنى فى ذلك أنواع ليست منه منها اثنان واثنتان ، و ثنتان فى لغة تميم مطلقاً أضيفا أم أفردا أم ركبا كقوله تعالى : ((فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا)) ، ((شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنيتان)) ، ((ربنا أمتنا اثنتين و أحبيتنا اثنتين)) ، ((و بعثنا منهم اثني عشر نقيبا)) . و منها ((كلا)) و ((كلتا)) بشرط اضافتهما إلى مضمحل نحو : جاءني كلاهما و رأيت كليهما ، و مررت بكليهما ، فان أضيفا لمظهر أعربا اعراب المفرد المقصور من لزوم الألف و تقدير الحركات عليها .

ألفاظ التغليب

و منها ألفاظ التغليب ، و هو ما صلح للتجريد لا لعطف مثله عليه ، كالقمرين للشمس والقمر ، و العمرين لأبى بكر و عمر ، و العمرين لعمر بن جابر و بدر بن عمرو قال الشاعر :

جزانى الزهد مان جزاء سوء و كان المرء يجرى بالكرامه
وقال أبو عبيدة : هما زهدم و كردم ، و الأحوصين : الأحوص بن جعفر و عمرو بن الأحوص ، و الأبوين للأب و الأم ، و الخشفين للخشف و أخيه سيف ابنى أوس ، و المصعبين لمصعب بن الزبير و ابنه عيسى أو أخيه عبد الله ، و الخبيبين لأبى خبيب عبد الله بن الزبير و أخيه مصعب قال : قدنى من نصر الخبيبين قدى والبحيرين لبخير و فارس ابنى عبد الله بن سلمة ، و الحرين للحر و أخيه أبى قال الشاعر :

ألا من مبلغ الحرين عنى متغللة و خص بها أيما
والاقرعين للاقرع بن حابس و أخيه مرثد ، و الطليحتين لطليحة بن خويلد الاسدى و أخيه جبال ، و الخزيمين و الزينبتين وهما خزيمة وزينة من باهلة.

جمع المذكر السالم وما ألحق به .

وارفع بواو وييا اجرر وانصبا	سالم جمع بشروط تجتبي
من علم أو وصفة المذكر	ذى العقل من تاء و تركيب عرى
ليست كأحمر ولا سكراننا	ولا صبور و جريح باننا
وألحق العشرون والسنونا	وباب ذين و كذا أهلونا
أولو وعالمون عليونا	وأرضون شذ عانسونا

الباب الثالث من أبواب النيابة جمع المذكر السالم وهو ضربان : اسم وصفة ، فالاسم لا يجمع هذا الجمع إلا بخمسة شروط : الذكورة والعلمية والعقل والخلو من تاء التانيث وقبول تاء التانيث عن قصد معناه ، واحترز بهذا الأخير من ثلاثة أشياء : فعلان فعلى نحو سكران ، وأفعل فعلاء نحو أحمر ، وما اشترك فيه المذكر والمؤنث نحو صبور و جريح فلا يجمع شئ من ذلك بالواو والنون ، مثال الاسم الذى اجتمعت فيه الشروط : جاء الزيدون ورأيت الزيدين ، ومررت بالزيدين .

ومثال الصفة التى اجتمعت فيها الشروط ((قد أفلح المؤمنون)) ((إن المسلمين)) . والأحق فى الإعراب ألفاظ لم تجتمع فيها الشروط منها : عشرون وبابه إلى تسعين قال تعالى : ((وواعدنا موسى ثلاثين ليلة)) ((فتم ميقات ربه أربعين ليلة)) ، ((واختار موسى قومه سبعين رجلا)) ، ((فاجلدوهم ثمانين جلدة)) . ومنها سنون وبابه وهو كل ثلاثى حذفت لامه وعوض عنها هاء التانيث ولم يكسر كقلين وعزين وعضين جمع : قلة ، وعزة ، وعضة قال تعالى : ((ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين)) ، ((عن اليمين و عن الشمال عزين)) ، ((الذين جعلوا القرآن عضين)) . قال الشاعر :

ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم أحلام
ومنها الأهلون ومفرده ((أهل)) وهو اسم جنس ليس بعلم ولاصفة ، ومنها ((أولو)) وهو اسم جنس ليس له مفرد من لفظه قال تعالى :

((و لا يأتل أولو الفضل منكم و السعة أن بوؤتوا أولى القربى)) ((إن في ذلك لذكرى
لأولى الالباب)) و منها عالمون و الوجه أنه جمع لعالم على يابه ، و منها عليون و هو
اسم لأعلى الجنتين قال تعالى :

((كلا ان كتاب الأبرار لفي عليين و ما أدراك ما عليون))

و منها ((أرضون)) و وجه شذوذه أمران : كونه جمع تكسير فإن راءه
مفتوحة في الجمع ساكنة في المفرد ، و كون مفردة مؤنثاً و في الحديث:
((طَوْقه من سبع أرضين)) ، و منها عانسون قال الشاعر :

منا الذي هو ما ان طر شاربه و العانسون و منا المردو الشيب
و وجه شذوذه ان عانساً من الصفات المشتركة التي لا تقبل تاء التانيث .

نون المثني و الجمع

و كسر نون لمثني اتبع و قل فتح بخلاف ما جمع
الأفصح في نون المثني و ما ألحق به أن تكون مكسورة ، و الموجب
تحريكها في البابين التقاء الساكنين ، وإنما خص المثني بالكسر و الجمع بفتح لخفة
المثني و ثقل الكسر ، و ثقل الجمع و خفة الفتح فأعطى كل لكل ليقع التعادل .
و قال شارح الفصول : إنما كسرت في المثني لأن الأصل في التقاء الساكنين الكسر ،
و التثنية أسبق من الجمع ، أو قصد بذلك الفرق بينهما وبين نون الجمع وكانت
أحق بالكسر لأن قبلها ألفاً و ياء مفتوحاً ما قبلها ، وإنما فتحت في الجمع طلباً
للتخفيف إذ قبلها واو قبلها ضمة أو ياء قبلها كسرة ، فلو كسرت لثقل اللفظ جداً ، وإنما
استمر الفتح في جمع المقصور مع كون ما قبل الواو والياء مفتوحاً حملاً للمعتل على
الصحيح وليطرد الباب على قاعدة واحدة .

و قال الفراء : كسرت النون في التثنية لأن الألف في نية الحركة ، و فيما لغة أخرى و
هي فتح نون المثني و كسر نون الجمع . قال الشاعر :

على أحوذيين استقلت عشية

و قال : أعرف منها الجيد و العينا

و قال : و أنكرنا زعانف آخرين

وقال : وقد جاوزت حد الأربعين

وسواء في هذه اللغة في المثني حالة الياء والألف كما صرح به السيرافي وأما في الجمع فيختص بحالة الياء كما نبه عليه ابن هشام وقال : إنه لم يحفظ إلا بعدها . ولم يحفظ بعد الواو وقال : وبعيد أن يجوز لإفراطه في الثقل .

هوامش

- ١- راجع محمد مصطفى أبو شوارب، رواية الشعر وتفسيره فى منهجية التراث العربى، الملتقى المصرى للإبداع والتنمية ١٩٩٩م ص ١١٣ وما بعدها، د. أحمد مختار عمر. علم الدالة، عالم الكتاب بيروت ١٩٩٣م ص ٢٣
- ٢- راجع ابن جنى، أبو الفتح عثمان (٢٩٢هـ) الخصائص، تحقيق محمد النجار ط ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦، ١/٨٠، ٢/٢١٦، ٣/٢٧١، ٣/٧٥
- ٣- راجع د. سعد حمودة، دراسات فى المكتبة العربية، دار المعرفة الجامعية ٢٠٠٠م ص ٥٩ وما بعدها
- ٤- السيوطى، حسن المحاضرة، ج ١ ص ١٩٣، ١٩٤، إسماعيل البغدادى: هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ص ٥٤٢، الزرعلى: الإعلام ج ٤ ص ٧١
- ٥- راجع د. طاهر سليمان حموده، المطالع السعيدة شرح السيوطى على ألفيته المسماة بالفريدة فى النحو والتصريف والخط ص ٢٢ وما بعدها
- ٦- المطالع السعيدة ورقة ٥ ص ١٠

٢- منظومة ابن مالك و" الألفية"

وشرح ابن عقيل عليها

إن نظام المنظومات العلية التي تجتمع ما في العلوم من قواعد طريقة ابتدعها العلماء ليسهل حفظ قواعد أى علم على طالبه ؛ فوضعت هذه المنظومات الطوال في علم النحو والصرف والفقه والحديث وغير ذلك من علوم العربية ، ومن ذلك ما صنعه ابن مالك .

شرح ابن عقيل علي ألفية ابن مالك

نبدأ في مطلع هذا الدرس بترجمة لصاحب الألفية-ابن مالك- وأخرى لشارحها- ابن عقيل- أولا ابن مالك:

ترجمة ابن مالك

*نسبه : هو جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني الأندلسي الشافعي النحوي اللغوي.

*ولادته : اضطربت الروايات في سنة ولادته، ولا نستطيع الجزم في أى منها فقال الذهبي والسبكي والأسنوى والمقرئ وابن العماد أنه ولد سنة ٦٠٠هـ أو ٦٠١هـ . واقتصر الصفدي وابن تغري بردي علي أنه ولد سنة ٦٠١هـ واقتصر السيوطي وابن كثير علي أن سنة مولده كانت ٦٠٠ هـ. وقد ولد في مدينة (جيان) بالأندلس، شرقي قرطبة، بينهما سبعة عشر فرسخا.

*عصره أو الحالة السياسية في عصره:

رحل ابن مالك إلي الشرق وهو شاب وذلك لما مرت به الأندلس وقتئذ من فتن وأحدث قبيل انتهاء عصر دولة الموحدين وضعف شوكة المسلمين بها فترك بلاده ونزل مصر، في وقت كانت فيه الاضطرابات بمصر مستعرة في زمن الملك الكامل ناصر الدين بن العادل (٦١٥-٦٢٥)هـ، فتحرر ابن مالك بعد أن أدى فريضة الحج الاستقرار بحلب التي كانت تحت إمرة الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازي ابن صلاح الدين وابنه الناصر صلاح الدين يوسف بعده وقد كان فيها من العلماء ابن يعيش وغيره.

شهد ابن مالك نهاية الدولة الأيوبية وقيام دولة المماليك ٦٤٨هـ-٦٥٨هـ
كما شهد سقوط بغداد ونهاية الدولة العباسية علي يد التتار سنة ٦٥٦هـ وجانباً كبيراً
من عهد سلطنة الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٩هـ).

وعلي الرغم من التقلبات السياسية في تلك البلاد وانعدام الاستقرار فيها
بسبب الحروب الصليبية وهجوم التتار من جهة الشرق ونزاع بني أيوب أنفسهم فقد
كانت الحالة العلمية وقتئذ تشهد رواجاً وتقدماً وكأن الناس قد هرعوا إلي حلقات
العلماء ليجدوا فيها ملاذاً لمشاعرهم التي أرهقتها المحن وقد ظهر من العلماء في
ذلك الوقت :

من النحاة : ابن الحاجب المتوفى ٦٤٦هـ

العكبري المتوفى ٦١٦هـ

ابن يعيش المتوفى ٦٤٣هـ

ابن الأثير المتوفى ٦٣٧هـ

وعن المفسرين والفقهاء:

١- ابن العلا ت ٦٤٤ صاحب المقدمة في علوم الحديث وهو الفقيه الشافعي
المعروف

٢- العز بن عبد السلام الفقيه الشافعي المعروف ت ٦٦٠هـ

٣- فخر الدين الرازي المفسر المعروف صاحب تفسير مفاتيح الغيب ت ٦٠٦هـ
وغيرهم كثيرون

رحلاته وتصدره للتدريس:

رحل ابن مالك من الأندلس إلي الشرق ونزل في القاهرة ثم رحل إلي
الحجاز ثم قدم دمشق واستقر بحلب ثم حماه ثم استوطن دمشق .
وقد تصدر بحلب لأقراء العربية وتصدر للتدريس بالمدرسة الظاهرية بحلب
التي أسسها الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين المتوفى ٦١٣هـ.

ولما استقر بدمشق تولي التدريس بالمدرسة العادلية التي أنشأها الملك العادل أخو السلطان صلاح الدين المتوفى ٦١٥هـ وأكملها ولده عيسى وهي الآن مقر المجمع العلمي العربي بدمشق.

ثم تولي ابن مالك كشيخة العادلية الكبرى وبقي إلى أن التحق بالرفيق الأعلى

شيوخه:

١- ثابت بن حيان :-

- أخذ ابن مالك القراءات والنحو عن ثابت بن حيان المتوفى سنة ٦٢٨هـ.

٢- أبو علي الشلوبين : عمر بن محمد الاشبيلي الأزري كان امام عصره في العربية بلا مدافع عالما بنقد الشعر بارعا في التعليم له عدة مصنفات منها : شرح الجزولية ، التواطئة توفي ٦٤٥هـ.

٣- السخاوي: علي بن محمد بن عبد العمد السخاوي وكان عالما بالقراءات والنحو له مصنفات منها : سفر السعادة وسفير الإفادة وشرح المفصل ت ٦٤٢هـ
٤- أبو البقاء : يعيش علي بن يعيش النحوي المشهور من كبار أئمة العربية ماهر بالنحو والتصريف، له مصنفات منها شرح المفصل للزمخشري وشرح التصريف الملوكي ت ٦٤٢هـ.

٥- ابن عمرون: محمد بن محمد بن أبي سعيد النحوي الحلبى ت ٦٤٩هـ.

٦- روى الحديث عن أبي الفضل : مكرو بن محمد القرشى الدفقي المعروف بابن أبي الصقر وكان عالما محدثا فاضلا ت ٦٣٥هـ.

٧- ابن الحاجب : أبو عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب ، والفقيه المالكي صاحب المصنفات المفيدة ففي الفقه له مختصر ذائع الصيت، وفي النحو بلغت مصنفاته المشرق والمغرب ومنها الكافية في النحو، الشافية في الصرف، الأمالي، شرح المفصل . ت ابن الحاجب ٦٤٦هـ (١)

"توصل إلي ذلك الزميل الباحث الدكتور/ عامر أبو عميرة في رسالته للدكتوراه ص ٥٤ .

مكانته في الدراسات اللغوية :

- يمكن التعرف علي مكانته من خلال نقل بعض أقوال علماء السلف عنه .
- قال ابن الجوزي: هو إمام زمانه في العربية
- وقال مرة ثانية: كان ذهنه من أصح الأذهان علي ملازمة العمل والنظر والكتابة والتأليف وبدون ذلك يصير أستاذ أهل زمانه وإمام أوانه"
- قال السيوطي : "كان إماما في القراءات وعللها وأما اللغة فكان إليه المنتهى الإكثار من نقل غريبها والإطلاع علي وحشيتها وأما النحو
- والتصريف فكان فيها بحرا لا يجارى وبراً لا يبارى"
- قال الذهبي: " صرف همته إلي إتقان لسان العرب حتى بلغ فيه الغاية وحاز قصـ السبق وأدى علي المتقدمين فكان واحد العصر في علم اللسان " وكان رحـ الله كثير المطالعة سردج المراجعة لا يكتب شيئا من
- محفوظة حتي يراجعه في علـه وقيل انه لم يكن يرى إلا وهو يصلي أو يتلو
- يصنف أو يقرأ وكان لا يحب المناظرة.
- تلامذته:

انتفع بابن مالك خافه كثير وتخرج به أئمة ومن هؤلاء :

- ١-ولده بدر الدين محمد المعروف بابن الناظم وله شرح علي ألفية أبيه ت ٦٨٦ هـ
- ٢-قاضي القضاء بدر الدين بن جماعة ت ٦٩٠ هـ
- ٣-الإمام النووي : أبو ذكريا يحيى بن شرف الشافعي المتوفي ٦٧٦ هـ وقيل أنه ■ المقصود في قوله في الألفية:
- وهل فتى فيكم فما خل لنا ورجل من الكرام عندنا
- ٤-ابن النحاس بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ت ٦٩٨ هـ وغيرهمز .

مصنفاته:

أولا في النحو والصرف:

١- الكافية الشافية وهي ثلاثة آلاف بيت

٢- الخلاصة وهي المشهورة بالألفية

٣- التسهيل

٤- شرح التسهيل

٥- عمدة الحافظ وعدة الالفاظ وشرحه

٦- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح .

٧- شرح لأمية الأفعال

٨- شرح الجزولية لأبي عيسى الجزولي

ثانيا: في القراءات :

٩- المالكية في القراءات

١٠- الدالية في القراءات وهي منظومة

١١- وله كتاب في العروض

وفاته:

توفي ابن مالك رحمه الله بدمشق في ثاني عشر شعبان سنة اثنين وسبعين
وستمائة بعد عمر ناهز السبعين سنة وصلى عليه بالجامع الأموي ودفن بسفح قاسيون
بالروضة، طيب الله ثراه.

مصادر ترجمته:

١- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي -تحقيق أبو الفضل- المكتبة
العوية- بيروت د.ت.ج ١ ص١٢٤ وما بعدها

٢- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي- المكتب التجاري
بالقاهرة سنة ١٢٥ هـ ج٥ ص٣٣٩

- ٣- البداية والنهاية لابن كثير تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرين - دار الديان للتراث بالقاهرة - ١٩٨٩ ج ١٣ ص ٢٦٧ .
- ٤- النجوم الزاهرة في أخبار نجوم مصر والقاهرة لابن تغرى بدوى - المؤسسة العالمية للتأليف والترجمة والنشر بالقاهرة د.ت. ج ٧ ص ٢٤٥
- ٥- غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزرى عناية براجشتر - طبع السعادة بالقاهرة الأولي ١٢٥١ هـ ج ٢ ص ١٨٠ وما بعدها.
- ٦- تاريخ الأدب العربى - كارل بروكمان - رمضان عبد التواب - دار المعارف الثالثة ١٩٨٣ ج ٥ ص ٢٩٦: ٢٧٥
- ٧- معجم المؤلفين عمر رضا كحال - مؤسسة الرسالة - الأولي ١٩٩٢ ج ٢ ص ٤٥٠ .
- ٨- المختصر في أخبار البشر لأبى الفداء تحقيق محمد زينهم وآخر دار المعارف الأولي ١٩٩٨ ج ٤ ص ١٥
- ٩- كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون - لحاجي خليفة دار الفكر العربى د.ت ٨٢، ١١٩، ١٣٣، ١٤٤، ومواضع أخرى
- ١٠- الوسيط في تاريخ النحو العربى د. عبد الكريم الأسعد - دار الشواق الرياض الأولي ١٩٩٢ ص ١٦٦ وما بعدها

ثانيا ابن عقيل

بهاء الدين أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عقيل الشافعى المولود سنة ٦٩٤ هـ أو ٦٩٨ هـ أو ٧٠٠ هـ.

عاش ابن عقيل في بداية حياته بالقاهرة فدرس القراءات والفقه ثم النحو وبرع فيه حتي أصبح نحوى الديار المصرية الأول في زمانه.

أساتذته:

- الجلال القزويني في البلاغة
- الزين الكتاني في الفقه
- التقي الصانع في القراءات

-أبو حيان الأندلسي في النحو صاحب المصنفات المفيدة ومنها البحر المحيط.
التذكرة في النحو، ارتشاف الغرب من لسان العرب، التذييل والتكميل وغيرها
٧٤٥هـ وقد لازمه غابن عقيل اثني عشر عاما.

تولى ابن عقيل التدريس في جامع القلعة والتفسير في الجامع الطولوني
وختم فيه تفسير القرآن ثلاث مرات في ثلاث وعشرين سنة، ومات وهو يفسره للمرة
الرابعة- تغمده الله بواسع رحمته وقد تولى ابن عقيل منصب قاضي القضاة بمصر.

مصنفاته:

- ١- شرح تسهيل ابن مالك المسمي "المساعد علي تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد"
- ٢- شرح علي ألفية ابن مالك وعلي هذا الشرح صنف حواشي متعددة منها حاشية
للسيوطي ت ٩١١هـ وحاشية الخضري ت ١٢٨٧هـ، وحاشية للسجاعي المتوفي
١١٩٧هـ

- ٣- الجامع النفيس في فقه الشافعية ولم يتمه
- ٤- تفسير للقرآن حتي آخر سورة آل عمران وهو تفسير مطول
- ٥- وله تفسير مختصر اسمه "التعليق الوجيز علي كتاب الله العزيز"
- ٦- مختصر شرح الرافعي لوجيز الغزالي في فروع الفقه الشافعي

تلامذته:

- ١- شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني الذي تزوج بابنته، الذي أنجب منها، تولى
القضاء حفيده (جلال الدين) وأخوه (بدر الدين)

قال عنه أبو حيان الأندلسي: "ما تحت أديم السماء أنحى من ابن عقيل"
توفي ابن عقيل سنة ٧٦٩هـ بالقاهرة وقد اشتهر ابن عقيل في ميدان الدراسات
اللغوية بشرحه لألفية ابن مالك وهو شرح مختصر رد فيه علي ابن الناظم وصور فيه
آراء النحاة ومذاهبهم تصويرا واضحا وخاصة حين يخالفهم ابن مالك وكثيرا ما كان
يتوقف في شرح مخالفات ابن مالك لسيبويه والبصريين وينحاز لهما وكما سبق قامت
علي هذا الشرح عدة حواس:

- ١- بغية الوعاة للسيوطي-سابقه ج ٢ ص ٤٨، ٤٧
- ٢- الوسيط في تاريخ النحو- سابق ص ٢١٤ .
- ٣- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد سابق ج ٦ ص ٢١٤، ٢١٥
- ٤- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني ج ٢ ص ٢٦٦، ٢٦٩
- ٥- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي - دار الكتب العلمية- بيروت ١٩٩٧ ج ٢ ص ١٦٠ و ج ١ ص ٤٤٠
- ٦- النجوم الزاهرة لابن تغري بدوى سابق ج ١١ ص ١٠٠، ١٠١
- ٧- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة سابق ج ٢ ص ٢٥١

ألفية ابن مالك :-

وضع ابن مالك أرجوزة طويلة تقارب أبياتها الثلاثة آلاف بيت من مزدوج الرجز ، تضم النحو والصرف معاً ، ثم شرحها نثراً بكتاب سماه ((الوافية)) ثم لخصها كتاب سماه ((الخلاصة)) ، الذي عرف بـ ((الألفية)) نسبة إلى عدد أبياته التي بلغت الألف بيت . وقد نهج ابن مالك فيها نهج نحوي قبله كان له فضل السبق في هذا المضمار هو ابن معط (توفي سنة ٥٦٤ هـ) ، وقد عرف ابن مالك بهذا السبق ذاهباً إلى ألفيته أحسن من ألفية ابن معط ، فقال :-

و تقتضى رضا بغير سخط	فانقصة ألفية ابن معط
وهو بسبق حائز تفضيلاً	مستوجب ثنائى الجميلاً
والله يقضى بهبات وافرهِ	لى وله فى درجات الآخِرهِ

و نشير هنا إلى أن السيوطي بعده وضع ألفية وقال فى أولها :

((فانقصة ألفية ابن مالك)) ، وكذلك جاء بعد السيوطي الأجهورى المالكي فوضع ألفية أخرى زاد فيها على السيوطي ، وقال فى مقدمتها : ((فانقصة ألفية السيوطي)) .

و أبيات الألفية كلها من كامل الرجز ، و تمتاز عباراتها بالركة والدقة والإيجاز فى صياغة الأحكام ، و لذلك يسهل حفظها . و يظهر أن ابن مالك قد حرص على

هذا الأمر لأن غايته من ألفيته غاية تعليمية . وقد جعل أبواب النحو فى القسم الأول منها ، وأبواب الصرف فى قسمها الأخير .

وقد نالت ألفية ابن مالك من الشهرة ما لم تنله أى ألفية أخرى ، أو كتاب نحوى آخر ، فقد بلغت شروحها وشروح شروحها والذبول و الحواشى عليها العشرات ، كما ترجمت إلى الفرنسية والإيطالية و طبعت طبعات يصعب إحصاؤها .

مخطوطات كتاب ((شرح ابن عقيل)) :-

لكتاب ((شرح ابن عقيل)) مخطوطات كثيرة مبعثرة فى مكتبات العالم الكبرى ، وقد أحصى كارل بروكلمان العشرات منها مبينا أماكنها و أرقامها فى هذه الأماكن ، كما أحصت أسماء الحمصى إحدى عشرة نسخة منها فى المكتبة الظاهرية بدمشق (حالياً فى مكتبة الأسد) ، وقد وصفت وصفاً علمياً كل نسخة منها .

طبعات كتاب شرح ابن عقيل :-

طبع الكتاب مرات كثيرة فى بيروت و القاهرة وغيرهما من مراكز النشر ، وكثرة هذه الطبعات إن دلت على شئ فإنما تدل على أهمية الكتاب و رغبة القراء والمتعلمين و الباحثين فى اقتنائه ، ونذكر من هذه الطبعات :-

- طبعات بولاق فى القاهرة سنة ١٢٥١ هـ ، سنة ١٢٥٢ هـ ، سنة ١٢٨١ هـ .
- طبعة المطبعة الكاستيلية فى القاهرة سنة ١٢٩٠ هـ .
- طبعة محمد مصطفى فى القاهرة سنة ١٣٠١ هـ .
- طبعة المطبعة الخيرية فى القاهرة سنة ١٣٠٦ هـ .
- طبعة المطبعة الشرقية فى القاهرة سنة ١٣٢٥ هـ .
- طبعة مطبعة الإتحاد فى بيروت بتصحيح عبد سالم السلطى ، سنة ١٨٧٢ م ، وسنة ١٨٨٥ م ، وسنة ١٨٨٩ م .
- طبعة ليبسك (ألمانيا) باعتناء الأستاذ ديتريشى سنة ١٨٥١ م .
- طبعة برلين سنة ١٨٥٢ م .
- طبعة بولاق مع حاشية أحمد السجاعى سنة ١٢٩٠ هـ وسنة ١٢٩١ هـ .

- طبعة مصر وبيامشها البهجة المرضية في شرح الألفية للجلال السيوطي سنة ١٢٢٢ هـ .
- طبعة بولاق مذيبة بشرح أبيات الشواهد لمحمد قطة العدوي سنة ١٢٦٤ هـ ، وسنة ١٢٦٥ هـ .
- طبعة المكتبة التجارية بمصر . بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، وهي أشهر الطبعات (ط ١٤ سنة ١٩٦٤) .
- طبعة جروس (طرابلس ، لبنان) بضبط وشرح الدكتور أحمد سليم الحمصي والدكتور محمد أحمد قاسم ، سنة ١٩٩٠ م .
- طبعة دار الجيل في بيروت بتحقيق حنا الفاخوري (ط ٥ ، سنة ١٩٩٧ م) .
- طبعة دار العلم للملايين في بيروت بتحقيق الدكتور رمزي منير بعلبكي ، سنة ١٩٩٢ م .
- طبعة دار الكتاب العربي ببيروت بتحقيق الدكتور هادي حسن حمودي ، الطبعة الثانية سنة ١٩٩٣ م .
- طبعة دار إحياء التراث العربي ببيروت بتحقيق الدكتور محمود مصطفى حلاوي ، سنة ١٩٩٦ م .

٨- الشروحات والحواشي على " شرح ابن عقيل ":

- لاقي شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك اهتماما كبيرا من قبل العلماء فأقبلوا عليه يدرسونه ويضعون حوله الحواشي والشروح ومنها:
- شرح للأبيات لمحمد بن أحمد بن محمد غازي العثماني المكناسي (المتوفى سنة ٩١٩ هـ / ١٥١٣ م) (خ) .
- شرح للأبيات لمحمد بن محمد بن أحمد الشافعي (خ) .
- شرح لابن الميلة (حوالي سنة ١١٠٠ هـ / ١٦٨٨ م) (خ) .
- حاشية لأحمد بن أحمد السجاعي (المتوفى سنة ١١٩٧ هـ / ١٧٨٢ م) أكمله في سنة ١١٧٨ هـ / ١٧٦٤ م وطبع في بولاق سنة ١٢٧٠ هـ وسنة ١٢٨٢ هـ وسنة

١٣٠٢ هـ وفي القاهرة سنة ١٢٩٨ هـ وسنة ١٢٠٦ هـ وطبع في تقريرات لمحمد بن محمد الإنبا (المتوفى سنة ١٢١٣ هـ / ١٨٩٥ م) في بولاق سنة ١٢٩٦ هـ.

- حاشية لمحمد الخضرى الدمياطى (المتوفى سنة ١٢٨٨ هـ / ١٨٧١ م) ألفه سنة ١٢٥٠ هـ / ١٨٢٤ م وطبع في بولاق سنة ١٢٠٢ هـ وسنة ١٢١٢ هـ وبالقاهرة سنة ١٢٧٢ هـ وسنة ١٢٨٢ هـ وسنة ١٢٨٧ هـ وسنة ١٢٩١ هـ وسنة ١٢٠٣ هـ وسنة ١٣٠٥ هـ وسنة ١٣١٧ هـ وسنة ١٣٢٢ هـ وسنة ١٣٤٥ هـ .

- شرح للشواهد لعبد المنعم الجرجاوى (المتوفى حوالى سنة ١١٧٥ هـ / ١٧٨١ م)، طبع في القاهرة سنة ١٢٨٠ هـ وسنة ١٢٩٥ هـ وسنة ١٣٠١ هـ وسنة ١٣٠٨ هـ وعلى هامشه شرح الشواهد لمحمد بن قطة العدوى في القاهرة سنة ١٣١١ هـ وسنة ١٣٢٥ هـ .

- شرح لمجهول (خ).

- حاشية لعطية بن عطية الأجهوري (المتوفى سنة ١١٩٤ هـ / ١٧٨٠ م).

- حاشية لمحمد الداودي ألفه سنة ١١٣٦ هـ / ١٧٢٣ م (خ).

- القول الجميل لأحمد بن عمر القاهري الأسقاطى الحنفى (المتوفى سنة ١١٥٩ هـ / ١٧٤٦ م).

٩- منهج ابن عقيل في شرحه للألفية :

يتميز منهج ابن عقيل في شرحه للألفية بما يلي :

١- التوسط في الشرح بين الإيجاز والإطناب ولذلك قال العماد الحنبلى : إن ابن عقيل " شرح الألفية شرحا متوسطا حسنا "

٢- سن عرض المسائل النحوية واختصارها وعرضها فغاية ابن عقيل من شرحه غاية تعليمية تهدف إلى تقريب قواعد النحو العربى من إفهام المتعلمين وشرحها شرحا موجزا مبسطا .

٣- الاعتناء بمسائل النحو شرحا وتفصيلا أكثر من اعتناؤه بمسائل الصرف فاختصر في النصف الثانى جداً ولعل ذلك يعود إلى أمرين : أولهما اشتغال ابن عقيل بالنحو أكثر من اشتغاله بالصرف وثانيهما أن

٤- مسائل النحو وشواهدة أغنى من مسائل الصرف وشواهدة وهذه الظاهرة أغنى التفاوت فى إسهاب الشرح واختصاره نجدها عند شراح الألفية عامة.

٥- الإكثار من الاستشهاد بالآيات الشعرية وقد بلغت ثلاثمائة وتسعا وخمسين شاهداً بالآيات القرآنية وكل الشواهد الشعرية التى استشهد بها هى لشعراء يحتج بأشعارهم أى لشعراء عاشوا فى العصر الذى عرف بعصر الاحتجاج وهو العصر الذى ينتهى فى منتصف القرن الثانى الهجرى .

٦- الاستشهاد بالحديث النبوى الشريف خلافاً لشيخه أبى حيان إلا أنه لم يكثر من الاستشهاد به .

٧- مجازاة المذهب البصرى عموماً وقد ظهر مذهبه البصرى عن طريق :

- الإكثار من الاعتماد على آراء سيبويه وغيره من نحاة البصرة .

- وصف المذهب البصرى فى أماكن عدة بأنه صحيح أو أعدل المذاهب .

- مجازاة البصريين فى مسائل خلافية دون تسميتهم .

ومع هذا الاتجاه لم يلتزم ابن عقيل بالمذهب البصرى فى كل أحكامه فقد خالفه فى عدة مسائل منها مسألة نقل حركة الحرف الأخير إلى الحرف الذى قبله مهما كانت تلك الحركة حيث قال: "ومذهب الكوفيين أولى لأنهم نقلوه عن العرب" كما أنه كان يعرض أحياناً للآراء المختلفة فى المسألة الواحدة دون أن يتبنى رأياً منها .

٨ - عدم الاكتفاء بالشرح إذ قد يتعداه أحياناً إلى تخطئ ابن مالك أو الدفاع عنه أو زيادة أوجه أخرى من المسألة أو تفصيلات أهملها الناظم .

وخلاصة القول أن ابن عقيل بدا لنا من خلال هذا المنهج الذى انتهجه عالماً أحاط إحاطة شاملة بمسائل النحو ومذاهب النحاة فيها ثم عرض لهذه المسائل عرض الخبير ذى القدرة الكبيرة على جودة العرض والترتيب والإستنتاج. كل ذلك دفع أستاذه أبو حيان إلى القول: "ما تحت أديم السماء أنحى من ابن عقيل".

نموذج من شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك

٧٢- اسم يعين المسمى مطلقا علمه: كجعفر وخرنقا

٧٣- وقرن وعدن ولاحق وشدقم وهيلة وواشق

العلم هو: الاسم الذي يعين مسماه مطلقا أى بلا قيد التكلم أو الخطاب أو الغيبة ؛ فالاسم: جنس يشمل التكرة والمعرفة و"يعين مسماه": فصل أخرج التكرة و"بلا قيد" أخرج بقية المعارف كالمضمر فإنه يعين مسماه بقيد التكلم ك"أنا" أو الخطاب ك"أنت" أو الغيبة ك"هو" ثم مثل الشيخ بأعلام الأناسى وغيرهم ، تنبيهات على أن مسميات الأعلام العقلاء وغيرهم من المؤلفات: ف"جعفر": اسم رجل و"خرنق": اسم امرأة من شعراء العرب وهى أخت طرفة بن العبد لأمه و"قرن": اسم قبيلة و"عدن": اسم مكان و"لاحق": اسم فرسو "شدقم": اسم جمل و"هيلة": اسم كلب .

٧٤- واسما أتى وكنية ولقبا . وآخرن ذا إن سواه صحبا

ينقسم العلم إلى ثلاثة أقسام : إلى اسم وكنية ولقب والمراد بالاسم هنا ما ليس بكنية ولا لقب ك"زيد" و"عمرو" وبالكنية: ما كان فى أوله "أب" أو "أم" ك"أبى عبد الله" و"أم الخير" وباللقب: ما أشعر بمدح ك"زين العابدين" أو ذم ك"أنف الناقة" وأشار بقوله: "وآخرن ذا- إلخ" إلى أن اللقب إذا صحب الاسم وجب تأخيره ك"زيد أنف الناقة" ولا يجوز تقديمه على الاسم فلا تقول: "أنف الناقة زيد" إلا قليلا ومن قوله: [من البسيط]

ش ٢٢- بأن ذا الكلب عمرا خيرهم حسبا ببطن شريان يعوى حوله الذيب وظاهر كلام المصنف أنه تأخير اللقب إذا صحب سواه ويدخل تحت قوله "سواه" الاسم والكنية وهو إنما يجب تأخيره مع الاسم فأما مع الكنية فأنت بالخبار بين أن تقدم الكنية على اللقب فتقول: "أبو عبد الله زين العابدين" وبين أن تقدم اللقب على الكنية فتقول: "زين العابدين أبو عبد الله" ويوجد فى بعض النسخ بدل قوله: " * " وآخرن ذا إن سواه صحبا" *: " واجعل أخيرا ذا إذا اسما صحبا" * وهو أحسن منه لسلامته مما ورد على هذا فإنه نص فى أنه إنما يجب تأخير اللقب إذا صحب الاسم

وعقوبته أنه لا يجب ذلك مع الكنية وهو كذلك كما تقدم ولو قال : " وأخرن ذا إذا
إن سواء صحبا" لما ورد عليه شئ إذ يصير التقدير : وخر اللقب إذا صحب سوى
الكنية وهو الاسم فكأنه قال : وأخر اللقب إذا صحب الاسم .

٧٥- وإن يكونا مفردين فأضف حتما وإلا اتبع الذي ردف إذا اجتمع الاسم واللقب :
فإما أن يكونا مفردين أو مركبين أو الاسم مركبا واللقب مفردا أو الاسم مفردا
واللقب مركبا.

فإن كانا مفردين وجب عند البصريين الإضافة نحو: " هذا سعيد كرز " و"
رأيت سعيد كرز " و"مررت بسعيد كرز" وأجاز الكوفيون الاتباع فتقول : " هذا سعيد
كرز " و"رأيت سعيد كرز " و"مررت بسعيد كرز" ووافقهم المصنف على ذلك في غير
هذا الكتاب.

وإن لم يكونا مفردين - بأن كانا مركبين نحو: " عبد الله أنف الناقة " أو
مركبا ومفردا نحو: " عبد الله كرز " و"سعيد أنف الناقة " - وجب الاتباع فتتبع الثاني
الاول في إعرابه ويجوز القطع إلى الرفع أو النصب نحو: "مررت بزيد أنف الناقة "
فالرفع على إضمار مبتدأ والتقدير : هو أنف الناقة والنصب على إضمار فعل والتقدير:
أعنى أنف الناقة فيقطع مع المرفوع إلى النصب ومع المنصوب إلى الرفع ومع
المجرور إلى النصب أو الرفع نحو: "هذا زيد أنف الناقة " و"رأيت زيدا أنف الناقة "
و"مررت بزيد أنف الناقة " و"أنف الناقة " .

٧٦- ومنه منقول: كفضل وأسد وذوارتجال: كسعاد وأدد

٧٧- وجملة وما بمزج ركبا ذا إن بعير "ويه " ثم أعربا

٧٨- وشاع في الأعلام ذو الاضافة كعبد شمس وأبى قحافة ينقسم العلم إلى :
مرتجل وإلى منقول فالمرتجل هو: ما لم يسبق له استعمال قبل العلمية في غيرها
ك"سعاد" و"أدد" والمنقول: ما سبق له استعمال في غير العلمية والنقل اما من صفة
ك"حارث " أو من مصدر ك"فضل " أو من اسم جنس ك"أسد" وهذه تكون معربة أو
من جملة: ك" قام زيد " و" زيد قائم " وحكما أنها تحكى فتقول: " جاءني زيد قائم "
و"رأيت زيد قائم " و"مررت بزيد قائم " وهذه هي الأعلام المركبة.

ومنه أيضا: ما ركب تركيب مزج كـ "بعلبك" و "معدى كرب" و "سيبويه" وذكر المصنف أن المركب تركيب مزج: إن ختم بغير "ويه" أعرب ومفهومه أنه إن ختم بـ "ويه" لا يعرب بل يبنى وهو كما ذكره فتقول: "جاءنى بعلبك" و "رأيت بعلبك" و "مررت بعلبك" ويجوز أن يعرب أيضا إعراب المتضايفين فتقول: "جاءنى حضر موت" و "رأيت حضر موت" و "مررت بحضر موت" وتقول: "جاءنى سيبويه" و "رأيت سيبويه" و "مررت بسيبويه" فتبنيه على الكسر وأجاز بعضهم إعرابه إعراب ما لا ينصرف نحو: "جاءنى سيبويه" و "رأيت سيبويه" و "مررت بسيبويه".

ومنها ما ركب تركيب إضافة: كـ "عبد شمس" و "أبى قحافة" وهو معرب فتقول: "جاءنى عبد شمس وأبى قحافة" و "رأيت عبد شمس وأبى قحافة" و "مررت بعبد شمس وأبى قحافة".

ونبه بالمثالين على أن الجزء الأول يكون معربا بالحركات كـ "عبد" وبالحروف كـ "أبى" وأن الجزء الثانى يكون منصرفا كـ "شمس" وغير منصرف كـ "قحافة".

٧٩- ووضعوا لبعض الأجناس علم كعلم الأشخاص لفظا وهو علم

٨٠- من ذلك: أم عريط للعقرب وهكذا ثعالة للشعلب

٨١- ومثله برة للمبرة كذا فجار علم للفجرة

العلم على قسمين: علم أشخاص وعلم أجناس.

فعلم الشخص له حكمان: معنوى وهو يراد به واحد بعينه كـ "زيد" و "أحمد" ولفظى وهو صفة مجىء الحال متأخرة عنه نحو: "جاءنى زيد ضاحكا" ومنعه من الصرف سببه مع سبب غير العلمية نحو "هذا أحمد" ومنع دخول الألف واللام عليه فلا تقول: "جاء عمرو". وعلم الجنس كعلم الشخص فى حكمه اللفظى فتقول: "هذا أسامه مقبلا" فتمنعه من الصرف وتأتى بالحال بعده ولا تدخل عليه الألف واللام فلا تقول: "هذا أسامة".

وحكم علم الجنس فى المعنى كحكم النكرة : من جهة أنه لا يخص واحدا بعينه
فكل أسد يصدق عليه "أسامة" وكل عقرب يصدق عليها "أم عريط" وكل ثعلب
يصدق عليه "ثعالة".

وعلم الجنس: يكون للشخص كما تقدم ويكون للمعنى كما مثل بقوله: "برة للمبرة
وفجار للفجرة".

هوامش

راجع ترجمة ابن مالك في :

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ص ١٢٤ وما بعدها.
شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ج ٥/٣٢٩، البداية والنهاية
لابن كثير ج ١٢ ص ٢٦٧، النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر القاهرة ج ٧ ص ٢٤٥.
غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ج ٢ ص ١٨٠ وما بعدها، تاريخ الأدب
العربي كارل بروكلمان ج ٥ ص ٢٧٥: ٢٩٦. معجم المؤلفين عمر رضا كحالة ج ٣
ص ٤٥٠. المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء ج ٤ ص ١٥. كشف الظنون لأسامي
الكتب والفنون لحاجي خليفة ص ٨٢، ١١٩، ١٣٣، ١٤٤. ومواضع أخرى. الوسيط في
تاريخ النمو العربي د. عبد الكريم الأسعد ص ١٦٦ وما بعدها.

وراجع ترجمة ابن عقيل وما يدور حوله من قضايا في :

بغية الوعاة للسيوطي ج ٢ ص ٤٧، ٤٨، الوسيط في تاريخ النمو ص ٢١٤.
شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد ص ٢١٤، ٢١٥، الدرر الكامنة في
أعياد المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني ج ٢ ص ٢٦٦، ٢٦٩، حسن المحاضرة في
أخبار مصر والقاهرة للسيوطي ج ٢ ص ١٦٠، ج ١ ص ٤٤٠، النجوم الزاهرة لابن تغري
بردي ج ١١ ص ١٠٠، ١٠١، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ج ٢ ص ٢٥١.

القضايا النحوية والعرفية في أي حالات في أمالي ابن الحاجب. رسالة
دكتوراه إعداد عامر أو بعميرة مخطوطة بكلية الآداب جامعة الزقازيق ٢٠٠٠م.

تجدد الإشارة قبل أن ننتهي من ذكر مراجعنا إلى أن بعض الدارسين
المحدثين شرحوا ألفية ابن مالك شرحا مفصلا دقيقا واعيا، يأتي في مقدمة هؤلاء
أ.د. زين كامل الخويسكي في شرحه ألفية ابن مالك المنشور بدار المعرفة الجامعية
بالإسكندرية ١٩٩٦م.

" دراسة المعاجم العربية وأنواعها "

يجدر بنا قبل دراسة نموذج المعجم العربي أن نشير في عجلة إلى تاريخ المعاجم العربية وأهم الأقسام التي دارت في فلكها، إذ أن لفظة معجم تطلق علي نوع من الكتب التي تعني في مادتها بدراسة اللغة، وهي تعالج الألفاظ بطريقتين :-

١- النوع الأول معجم يدور حول معني الكلمة شرحا وإيضاحا ليخرج منها بما يعرف بالمعنى المعجمي، ومادة هذه المعاجم هي الكلمات التي يدور حولها نشاطه بالشرح والتحليل تاريخيا أو وصفيًا ليحقق غايته في التصريف الدقيق للكلمة وتطوراتها واشتقاقاتها وطريقة نطقها وكيفية هجائها ويعطى مداخلها من حيث المادة والصيغة ونوعها الجراماطيقي أي كل ما يتصل بالمنهج الصوتي والصرفي والاشتقاق والنحوي (١) وقد سمي ابن سيده هذا النوع الأول من المعاجم معجم الألفاظ أو المعجم المجنس (٢)

٢- والنوع الثاني من المعاجم يطلق علي الكتب التي تجمع الألفاظ المتصلة بمعني أو بموضوع واحد في رسالة أو كتاب أو باب من كتاب وقد أسمى ابن سيده هذا النوع الثاني المعجم المبوب أو معجم المعاني (٣).

فالمعاجم علي هذا بنوعيتها هي كتب اللغة التي ترتب فيها الألفاظ علي حروف المعجم أو علي المعاني المتشابهة أو المتقاربة، وقد استقطت هذه المعاجم مادتها الأساسية من أفواه العرب بطريقة أو بأخرى، ويدخل في ذلك أشعار العرب وأخبارهم وأمثالهم وألفاظهم وعلومهم وآدابهم.

وقد كانت بداية تجميع هذه المواد بتدوينها في كتب مستقلة كل موضوع علي حده، كما صنع الأصمعي في كتب الإبل وأسماء الوحوش وخلق الإنسان والخيول والشاه والنبات والشجر والنخيل وغيرها، وأبو زيد في كتب اللبن والمطر ويدخل ضمن هذا القسم ما ألفوه من كتب النواذر في اللغة وهي تشمل علي النادر استعماله من الألفاظ ودلالاتها ككتب النواذر للكسائي وأبي زيد والشيباني والقالي وكتب الغريب في اللغة كغريب أبي عبيد والشيباني وابن الأعرابي وسائر الكتب

التي تبحث في اللغة واشتقاقها وألفاظها وكذلك كتب الأضداد والأشباه والنظائر ومن هذا القبيل كتاب الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمداني المتوفى سنة ٣٢٧هـ، وكتاب البارع للقالبي وأبنية الأفعال لابن القوطية وديوان الأدب لاسحق بن إبراهيم الفارابي المتوفى سنة ٣٥٠هـ خال الجوهري صاحب تاج اللغة وهكذا ٠٠٠ إلخ.

والجدير بالذكر أن علماء اللغة كانوا سابقين في استعمال لفظة المعجم فوضع أبو يعلى أحمد بن المثنى (٢١٠-٣٠٧هـ) في كتابيه: "المعجم الكبير" و"المعجم الصغير" ثم أطلق - في مرحلة تالية - هذا اللفظ علي المباحث اللغوية التي تعالج اللفظة فتشرح مدلولها وجميع ما يتصل بها أو تجمع الألفاظ المتصلة بمعنى أو بموضوع واحد في رسالة أو كتاب أو باب من كتاب ٠٠٠ إلي آخره (٤).

ومما يجدر ذكره أننا إذا نظرنا إلي مادة "عجم" في المعاجم العربية وجدنا أن لفظة معجم تحمل دلالات لغوية متعددة (٥)، وقد جاء في باب السلب لابن جنى أن الهمزة في أعجم لسلب معني الإستفهام (٦) وكما يقول ابن جنى أن مادة "عجم" وتصريفاتها أين وقعت في كلام العرب إنما هي للإبهام وضد البيان - أو هي كما يقول في سر صناعته الإعراب "إنما وقعت في كلام العرب للإبهام والإخفاء وضد البيان والإفصاح (٧) وأن الهمزة للسلب أي سلب المعنى الأصلي وإثبات عكسه ومعناه أن إعجام الكتاب أي إزالة إستعجابه بالنقط - كما أن الإعجام هو تنقيط الحروف لتمييز ما بينها من إبهام ومن هنا سميت حروف الهجاء حروف المعجم وجاءت تسمية الكتاب الذي يزيل التباس معانى الكلمات وغموضها معجما (٨)

وقد لاحظ د. البدر أوى زهران أن مصطلح المعجم جاءنا في البداية من علماء الحديث الذين كانوا سابقين في استعمال المصطلح: فالإمام البخارى قد كتب في صحيحه "باب قسميه من سمى من أهل بدر علي حروف المعجم (٩). وأن أبا يعلى أحمد بن علي بن المثنى وضع معجما سماه معجم الصحابة وأن أبا القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوى وضع كتابين في أسماء الصحابة (١٠) سماهما: المعجم الكبير والمعجم الصغير .

وقد تعددت مدلولات المصطلح إلى أمور أخرى في القرن الرابع الهجري فأطلق المصطلح علي كثير من الكتب مثل المعجم الكبير والصغير والأوسط في قراءات القرآن وأسمائه لأبي يكن محمد بن الحسن النقاش الموصلي ومعجم الشيوخ لأبي الحسن عبد الباقي بن قانع بن مرزوق البغدادي ومعجم الشيوخ لأبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي وأطلقها ياقوت الحموي علي معجم البلدان ومعجم الأدباء وأطلقها عمر رضا كحالة علي معجم قبائل العرب وأطلق اللغويون كلمة المعجم بمعناها المتعارف عليه اليوم .

أما كلمة قاموس فجاءت من أن مادة "قَس" تعني البحر العظيم أو وسطه أو معظمه وقد أطلق علماء العربية الأقدمون اسما من أسماء البحر أو صفة من صفاته علي مؤلفاتهم في هذا المجال تعظيما له بما حواء من خضم هائل من لغة التي هي بحر لا يدرك شاطئه. فأطلق صاحب ابن عباد علي معجمه اسم "المحيط" وأطلق ابن سيده علي معجمه اسم "المحكم والمحيط الأعظم" ويسمى الصاغاني معجمه "العباب" أو "مجمع البحرين" وأطلق الفيروز بادي علي معجمه اسم "القاموس المحيط" وكان حظ القاموس المحيط أن انتشر وشاع اسمه بين جماهير أهل العربية وارتبط مصطلح قاموس في الأذهان بدلالة لفظ معجم حتى في أذهان المتخصصين (١١).

أنواع المعاجم العربية (١٢)

تصدرت أنواع المعاجم التي تعنى بدراسة اللغة واشتقاقاتها وبنياتها وموضوعاتها وانقسمت أقساما متعددة نجلها فيما يأتي مع ذكر أمثلة لها :

١ - معجم الألفاظ المفردة :-

هذا النوع من المعاجم هو الذي يشرح ألفاظ اللغة، وكيفية ورودها في الإستعمال علي نحو ما، وقد تحمل مصنفو هذه المعاجم من القدماء عبء التصنيف الفردي بعكس المعجم الحديثة التي اتخذت طابعا جماعيا في انجاز العمل كما يحدث في المجامع اللغوية .

ومن أمثلة تلك المعجم التي نتحدث عنها : العبير للخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة ١٧٥هـ، ومختصر العين قام به الزبيدي وكثير من الأعمال التي قامت معتمدة علي هذا المعجم. ومعجم الصحاح للجوهري (٣٩٨هـ)، ومختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، وقد عني بترتيبه محمود خاطر، وتهذيب الصحاح لمحمود الزنجاني، ولسان العرب لابن منظور (٧١١هـ)، والقاموس المحيط للفيروز آبادي (٨١٧هـ)، وقطر المحيط لبطرس البستاني وتاج العروس للزبيدي (١٢٠٥هـ).

وتجدر الإشارة هنا إلي أن هذه المعاجم كلها التزمت في ترتيب مادتها أن يكون بابها الحرف الأخير؛ وقد ساعدتهم علي هذا الإختيار أن لام الكلمة أثبت من فائها إضافة إلي تقديس الحرف الأخير في قوافي الشعر وسجع النثر غير أن هذا أوقعهم في بعض العيوب وهذا ما سنشير إليه عند دراستنا معجم لسان العرب لابن منظور أما الزمخشري فقد رتب معجمه أساس البلاغة ترتيبا هجائيا بأوائل الألفاظ بعد تجريدتها، وهذا عينه ما صنعه المجمع اللغوي في معجمه الكبير والوسيط والوجيز ويتميز أساس البلاغة بإيراد النصوص البلاغية والأدبية الدالة علي المعاني المختلفة للفظ مبتدئا بالمعاني الحقيقية ثم المجازية مع وفرة الشواهد وهو بهذا يعد معلما من المعالم الهامة علي حركة التأليف المعجمي في التراث.

٢- معاجم المعاني - أو الموضوعات: -

وهذا النوع الثاني من المعاجم العربية يورد المعاني في أبواب ويرتب الألفاظ اللغوية حسب موضوعاتها ومنها: الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمزاني وفقه اللغة للثعالبي والمخصص لابن سيدة (٤٥٨هـ) ويقع في سبعة عشرة جزءا.

٣- المعاجم التأصيلية أو معاجم الألفاظ الدخيلة:

وهي التي تبحث في أصول الألفاظ وتوقف الباحث علي أصل الكلمة إن كانت عربية الأصل أو غير عربية وتبحث في أصل الدخيل حيث يذكر أمام كل لفظ دخيل أصله في لغته الأصلية ومعناه وأمثلة استعمالاته. ومنه كتاب العرب

للجوالقي (٥٤٠هـ) وكتاب شفاء الغليل في كدام العرب من الدخيل لشهاب الدين الخفاجي (١٠٦٩هـ).

٤- المعاجم التاريخية أو التطورية:

من الثابت أن الألفاظ مثل الكائن الحي تولد وتشب وتنمو وتتطور وقد تموت أحياناً، وهي في هذه الرحلة قد تتغير مدلولاتها و تتسع دلالتها أو تضيق ، لذا أنشئت هذه المعاجم التي تهتم بالبحث عن أصل معنى اللفظ ثم تتبع مراحل تطور هذا المعنى عبر العصور ، فهي تدرس مراحل تغير معنى لفظ من الألفاظ عبر العصور و كيف تطور هذا المعنى حتى اليوم مروراً بالعصور المختلفة سواء في المعنى أو المضمون .

٥ - المعاجم المتخصصة :

وهي التي تجمع ألفاظ علم معين و مصطلحاته أو فن ما ، ثم تشرح كل لفظ حسب استعمال أهله و المتخصصين فيه ، و قد قدم مجمع اللغة العربية أنواعاً مختلفة من المعاجم لكل التخصصات .

و من المعاجم التراثية المتخصصة " التذكرة " لداود الأنطاكي الغريز و قد وضع في قسم كبير منه معجماً للعقاقير و الأعشاب الطبية ، و كتاب " حياة الحيوان الكبرى " للدميري (١٣٤١ - ١٤٠٥ م) الذي جمع فيه أسماء الحيوان و الحشرات و الزواحف و الطيور معرّفاً بها و بخصائص كل منها على طريقة عصره .

٦ - المعاجم ذات الطابع الموسوعي :

إن هذا النوع من المعاجم يأخذ من المعجم الترتيب الهجائي للمادة كما في معجم البلدان لياقوت و معجم الأدباء له كذلك ، و بعض الكتب التي تحمل في عناوينها كلمة تصلح أن تكون مرادفاً لكلمة موسوعة ، هي أقرب إلى المعجم مثل الجامع لمفردات الأدوية و الأغذية لابن البيطار و هو من النصف الأول من القرن السابع الهجري . حيث جمع فيه أسماء النباتات و الحيوانات و المعادن التي تتخذ منها الأدوية و العقاقير ، و عرف بالمادة و ذكر أسمائها في اللغات المختلفة و وصفها و بين أين توجد ، و ذكر ما قاله اليونان و العرب في منافعها و مضارها ، و وضح طريقة

تحضير الدواء منها وطريقة استعماله . ونبه على الوهم الذى يقع فيه السابقون بسبب اعتمادهم على النقل . وبين أن ما وصل هو إليه نتيجة التجربة والمشاهدة هذه بعض أنواع المعاجم العربية التى أكتفينا بالإشارة إليها دون غيرها من الأنواع الأخرى لعدم الإثقال ولأن غيرها ليس ذا بال فى مجال دراسة المعاجم التراثية إذ هى فى معظمها معاجم حديثة الوضع .

من ذلك المعاجم المصورة التى تثبت صور المواد المحسة . وقد استعان المجمع اللغوى فى مصر بهذه الطريقة التى تسهم إلى حد كبير فى توصيل المعنى المراد ، ومنها المعاجم المختصرة كالمختار والوجيز ، ومعاجم اللهجات ، ومعاجم الشعراء والكتاب ويسجل المفردات التى استعملها فى نتاجه الأدبى ، ودوائر المعارف التى تعد مرجعاً للتعريف بالأعلام والشعوب والبلدان والوقائع الحربية والعلوم وغيرها .

ونحاول فيما يلى عرض بعض نماذج من هذه المعاجم : -

هوامش

- ١- راجع د. تمام حسان ، مناهج البحث في اللغة ص ٢٢٤ وما بعدها ، د. البدرأوى زهران ، مصنفات الثروة اللفظية- كتاب الألفاظ- لعبد الرحمن بن عيسى الهمزاني ص ٦٨، ٦٩ ومصادر عربية وقراءات في مراجع تراثية ص ٤٣ وما بعدها
- ٢- راجع أحمد عبد الغفور عطار في مقدمة الصحاح
- ٣- ابن سيدة ، المخصص ود. إميل يعقوب ، المعاجم اللغوية العربية بداءتها وتطورها ص ٩
- ٤- د. البدرأوى زهران ، مصادر عربية وقراءات في مراجع تراثية ص ٤٤
- ٥- راجع مدلولات كلمة معجم "وأعجم في لسان العرب والقاموس المحيط والمصباح المنير وغيرها من المعاجم في مادة عجم"
- ٦- راجع كتاب الخصائص لابن جني ، ج ٣ ص ٢٦
- ٧- ابن جني ، سر صناعة الإعراب ج ١ ص ٤٠
- ٨- راجع المعاجم اللغوية العربية ص ١٢ ، د. البدرأوى زهران ، مصادر عربية وقراءات في مراجع تراثية ص ٤٥
- ٩- راجع أحمد عبد الغفور عطار ، مقدمة الصحاح ص ٢٨
- ١٠- راجع د. عبد السميع محمد أحمد ، المعاجم العربية دراسة تحليلية ص ١٦ وما بعدها ، د. البدرأوى زهران ، مصادر عربية وقراءات في مراجع تراثية ص ٤٥
- ١١- راجع د. البدرأوى زهران ، مصادر عربية وقراءات في مراجع تراثية ص ٤٦، ٤٥
- ١٢- راجع السابق ص ٤٦ وما بعدها

٢- من المعاجم العربية

أولاً: لسان العرب لابن منظور (٦٣٠-٧١١هـ)

يعد ابن منظور صاحب "لسان العرب" من أهم علماء عصره بل من أهم علماء العربية الذين عنوا بدراسة اللغة ووضع المعجم في اللغة العربية قاطبة، وهو محمد بن جلال الدين مكرم بن نجيب الدين أبي الحسن علي ابن أحمد بن أبي قاسم بن حقبة بن منظور ولد بمصر سنة ثلاثين وستمائة هجرية، سنة اثنين وثلاثين ومائتين وألف ميلادية (١٢٣٢م). (١)

والثابت أن ابن منظور نشأ في بيئة علمية، تحدث هو نفسه عنها في مقدمة كتابه "نثر الأزهار" الذي اختصر فيه كتاب التيفاشي (شرف الدين أحمد بن يوسف ت ٦٥١هـ) فصل الخطاب في مدارك الحواس الخمس لأولي الألباب . وكان ابن منظور نهما في طلب العلم وشغوبا به، وقد أجمع المترجمون له علي أنه كان محدثا فقيها، عمل في ديوان الإنشاء بالقاهرة ثم ولي القضاء في طرابلس، وعاد إلي مصر وبها توفي سنة ٧١١هـ/١٣١١م.

وقد ذكر ابن حجر في الدرر الكامنة وغيره أن ابن منظور قد تتلمذ لابن المقيد ومرتضي بن حاتم وعبد الرحيم بن الطفيل ويوسف بن المخيلى وغيرهم . ولما كان ابن منظور عالما جليلا أخذ العلم عن شيوخ ثقات وجب أن يكون له تلامذة يحصلون العلم علي يديه وتستمر بهم رحلة المعرفة، ومن هؤلاء التلاميذ: -

١- تقي الدين السبكي (ت ٧٥٦هـ)

٢- الذهبي المؤرخ

٣- قطب الدين ولد ابن منظور الذي أصبح كاتب الإنشاء بمصر

مصنفاته:

برع ابن منظور في علوم متعددة منها : الفقه وعلوم اللغة والمعارف الكونية، لذا كثرت مصنفاته وتعددت اتجاهاتها بين فنون العلم المختلفة، ويذكر الصفدي في كتابه " أعيان العصر " أن ابن منظور ترك بخطه خمسمائة مجلد، لكن الملاحظة التي تجدر الإشارة إليها هي أن أغلب مصنفات ابن منظور كانت عبارة عن مختصرات لما سبقه من مؤلفات علماء اللغة والأدب السابقين فقد كان كما يقول ابن حجر صاحب

الدور الكامنة مغرماً باختصار كتب الأدب المطولة والتواريخ. وكان لا يمل من ذلك ونذكر عدداً من هذه المختصرات :

١- مختار الأغاني في الأخبار والتهاني . ويقع في نحو أربعة أجزاء كبار .
اختاره ابن منظور من أغاني أبي الفرج ورتبه علي حروف الهجاء بدلا من ترتيبه علي الأصوات كما فعل أبو الفرج الأصفهاني .

٢- مختصره لكتاب يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر للثعالبي (ت ٤٢٩ هـ)

٣- مختصره لكتاب زهر الآداب وثمره الآلباب لأبي إسحاق إبراهيم القيرواني (ت ٤٥٣ هـ)

٣- كشف الظنون واختصر فيه كتاب تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (ت ٥٢١ هـ)

٤- مختصره لكتاب تاريخ بغداد للسمعاني (ت ٥٦٢ هـ)

٥- مختصره لكتاب حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني (ت ٤٣٠ هـ)

٦- مختصره لكتاب مفردات ابن البيطار (ت ٦٤٦ هـ)

٨- لطائف الدخيرة وهو اختصار لكتاب الدخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام ٣٠٣ م

٩- مختصره لكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه

١٠- مختصره لكتاب الحيوان للجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)

١١- مختصره لكتاب نشوار المحاضرة للتونخي

لسان العرب:

ومهما يكن من أمر ومهما تعددت مصنفات ابن منظور فإن لسان العرب يبغي أهم مصنفاته وأضئ معجم لغوي جمع ما ضمنته كتب السابقين ، فصار يغني عن كثير من معاجم اللغة العربية إذ جمع فأوعى وضم كل غريب وأضحى كتاب لغة وتفسير وحديث وفقه وأدب وتاريخ لا يستغني عنه العلم والأديب (٢).

طبقات لسان العرب:

للأهمية الكبرى والمكانة العليا التي يتربع فوقها معجم لسان العرب على المحققون منذ زمن عناية فائقة به ولذا كان للكتاب عدة طبقات تفاوتت فيما بينها قوة وضعف ونذكرها فيما يأتي:

١ - طبعة بولاق:-

كانت هذه الطبعة التي طبعتها المطبعة الأميرية سنة ١٢٠٠هـ/١٨٨٢م في عشرين جزءاً مجموعة في عشرة مجلدات وهذه الطبعة هي المشهورة بطبعة بولاق ، وهذه الطبعة هي أولى طبقات هذا المعجم ، ولم يكن يعيب هذه الطبعة إلا حشد المواد حشداً وتزاحمها تراحمًا في الصفحات مما يؤدي إلى إثقال على الباحث.

٢ - طبعة بيروت :-

وقد كانت الطبعة الثانية من هذا المعجم تلك التي صدرت في بيروت عن دار صادر سنة ١٢٧٤ هـ / ١٩٥٥م في خمسة وستين جزءاً وهي طبعة لا تمتاز من الطبعة السابقة إلا بإضافة بعض أدوات الترقيم . ■ بجعل المادة فقرات . كما قسمت هذه الطبعة الصفحة عمودين .

٣ - طبعة المؤسسة المصرية العامة للتأليف ■ الترجمة والنشر. وهذه الطبعة - كما ذكر في صفحتها الأولى - ((مصورة عن طبعة بولاق)) مما يؤكد فضل تلك الطبعة الأولى .

٤ - طبعة بيروت الثانية : وفي هذه المرة طبعته بيروت كذلك دار لسان العرب طبعة مصورة عن طبعة بيروت الأولى التي نشرتها دار صادر ولا تختلف طبعة بيروت الثانية عن طبعة بيروت الأولى إلا في أن الثانية أصغر في حجم حروفها عن الأولى ، وأن الصفحة ثلاثة أعمدة ، وأن المواد مرتبة على 'الحروف الهجائية' . وأن الطبعة في ثلاثة مجلدات ، دُيِّل كل مجلد منها بمصطلحات علمية وفنية .

٥ - طبعة دار المعارف :- وقد نشرته أخيراً دار المعارف بالقاهرة في طبعة جيدة تتكون من ستة مجلدات أضيفت إليها بعد ذلك مجموعة من الفهارس . ■ قد

عنى المحققون فى هذه الطبعة بضبط الكلمات ضبطاً كاملاً و حاولوا تنقية المعجم من كثير مما شابه من نقص .

و لابد أن نذكر أن هذه الطبعة فاقت غيرها من الطبعات للأسباب الآتية :-

١ - قابل المحققون النسخة التى اعتمدها أصلاً على المصادر التى استقى منها ابن منظور مادة معجمه .

٢ - جلاء ما كان غامضاً و استكمال كثير من النقص الذى كان قد وقع فى الطبعات الأخرى .

٣ - إضافة هوامش تطلبها التحقيق و البحث ، و التنبيه على بعض أخطاء الطبعات السابقة .

٤ - تنظيم كل مادة تنظيمياً طباعياً يراعى فيه اختلاف المعنى ، و ذلك بوضع علامات الترقيم المناسبة و بداية كل معنى جديد فى المادة بسطر جديد .

٥ - الإستفادة باللسان نفسه فى التحقيق و الضبط فى حال اختلاف بعض الكلمات من موضع لآخر سواء فى المادة اللغوية و فى أبيات الشعر المستشهد به .

مصادر اللسان و أهدافه :-

كان ابن منظور أميناً فى معجمه من الناحية العلمية ، و دقيقاً واعياً بما يقول؛ إذ كان يعلم جيداً أنه لم يأخذ لغته و مادة معجمه عن طريق الإستماع إلى العرب الأقحاح . لذا كان حريصاً فى تقديمه اللسان على ذكر المصادر المعجمية التى اعتمد عليها و نقل منها مادته اللغوية ، و هذه المصادر التى ذكرها ابن منظور فى مقدمته هى :-

١ - " تهذيب اللغة " للأزهري (ت ٣٢٠ هـ).

٢ - " المحكم " لابن سيده.

٣ - " الصحاح " للجوهري (ت ٤٠٠ هـ).

٤ - " الحاشية على الصحاح " لابن برى.

٥ - " النهاية " لابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ).

وقد شهد بن منظور لهذه المعاجم التي اعتمد عليها علي الرغم من أنه كان له عليها بعض المآخذ فيقول :

" ولم أجد في كتب اللغة أجمل من " تهذيب اللغة " لأبي منصور محمد ابن أحمد الأزهري ، ولا أكمل من " المحكم " لأبي الحسن علي بن اسماعيل بن سيده الأندلس ، رحمهما الله ؛ وهما من أمهات كتب اللغة علي التحقيق ، وما عداهما بالنسبة إليهما ثنيات للطريق ٠٠٠ ورأيت أبا نصر اسماعيل بن حماد الجوهري قد أحسن ترتيب مختصره ، فخف علي الناس أمره فتناولوه ، وقرب عليهم ماخذه فتداولوه وتناقلوه ٠٠٠ فأتى له الشيخ أبو محمد بن بدى ، فتتبع ما فيه وأملى عليه أماليه ، مخرجا لسقطاته مؤرخا لغلطاته ٠٠٠ فرأيت أبا السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجذري قد جاء في ذلك بالنهاية ، وجاوز في الجودة حد الغاية ؛ غير أنه لم يضع الكلمات في محلها ، ولا راعى زائد حروفها من أصلها ٠٠٠ فجمعت منها في هذا الكتاب ما تفرق ، وقرنت بين ما غرب منها وما شرق فانتظم شمل تلك الأصول كلها في هذا المجموع ، وصار هذا بمنزلة الأصل وأولئك بمنزلة الفروع ٠٠٠ (٣)

وقد كان ابن منظور يهدف من وراء ذلك كله إلي أمرين رئيسيين وهما الاستقصاء والترتيب ، إذ نراه ينص في مقدمته علي أن المعجم التي سبقت معجمه لم تكن تعني إلا بأحدهما ، أما بالنسبة للاستقصاء فقد ظهر بجلاء في عناية صاحبي التهذيب والمحكم ، وأما العناية بترتيب المفردات فقد بدت عند الجوهري في الصحاح ، وقد أفاد ابن منظور فقال الحسينين .

منهج ابن منظور في اللسان :

يبدأ ابن منظور مصنفه بخطبه ذكر فيها شرف اللغة وارتباطها بالقرآن ، ثم نقد مصادره التي تنقل عنها واعتمد عليها ذاكرة ما لم يرضه من مناهج هؤلاء السابقين ثم بين لنا منهجه الذي سيسير عليه في معجمه .

وبعد انتهائه من خطبته شرع في كتابة بابين قبل المعجم وهما :

١ - تفسير الحروف المقطعة في مطالع سور القرآن الكريم ، وهي قضية تار حولها جدل كبير في تاريخ الفكر والتفسير الإسلاميين .

٢ - وثانيهما درس فيه ألقاب حروف المعجم وطبائعها وخواصها.

ولم يكن ابن منظور مبتكرا هذين البابين، إذ أقر هو نفسه أنه أخذ الباب الأول من تهذيب الأزهري، وكان قد وضع آخر معجمه ولم يصف إليه ابن منظور إلا ثلاثة عشر سطرا ختم بها الباب. وعالج في هذا الباب معاني هذه الحروف ودلالاتها وإعرابها وتذكيرها وتأنيثها وجمعها، وأورد في كل مسألة بعض خلافاً بسيطة تتمثل في حذفه بعض أسانيد الأزهري .

وأخذ الثاني من باب أبي الحسن علي بن أحمد بن الحرابي المتوفى ٦٣٧هـ، وعالج فيه ألقاب حروف الهجاء عند ابن كيسان والخليل وترتيبهما المخرجي عند الخليل وسيبويه ، والعلاقات بين الحروف المتقاربة من تناسق وتنافر.

وقد أخذ ابن منظور طريقة ترتيب مادته عن صحاح الجوهري إذ يعتمد بالحرف الأخير، ويبدو أن غلبة السجع علي أدب العصر شعرا ونثرا كان له أثر في التزام المعجميين هذا المنهج، ولكن التزام الحرف الأخير أوقع ابن منظور في أخطاء وأورثه عيوباً منها :

١- أن ترتيب المادة بحسب الحرف الأخير ثم الأول ثم الأوسط تشتت.

٢- المستغنين بالمعجم، وكان الأيسر له وللمستفيد أن يبني مادته معتمداً علي الحرف الأول، وهذا ما صنعه المحققون في طبعة دار المعارف إذ رتبوا الأبواب علي أساس الحرف الأول .

٣- ويبدو عيب هذه الطريقة التي يكون بابها الحرف الأخير أن هذا الحرف إذا كان حرف علة فكثيراً ما يقع التباس ولعل ذلك كان السبب الرئيسي في أنه جمع المعتل بالواو والمعتل بالياء في باب واحد.

٤- ومن العيوب لهذه الطريقة أن الحرف الأخير لا يكون أصلياً، كما في مادة (أبو) من (أب).

وعلي الرغم من هذا كله فإن للسان مزايا جلية نذكر منها :

١- لما كان ابن منظور قد اعتمد في تكوين معجمه علي خمسة مصادر ضخمة كان لابد أن يكثر مادته كثرة طيبة، وصلت هذه المادة اللغوية إلي ثمانين ألف مادة .

٢- عني ابن منظور في التأكيد علي صحة مادته بذكر الشواهد الشعرية.

٣- يذكر لابن منظور فضل الاستقصاء وحسن التنظيم لمادة معجمه.

٤- يذكر له أيضا أنه يبدأ عرض المادة يبدأ بذكر المصدر ثم يأتي بعد ذلك بكل ما يمكن أن يشتق منه .

نموذج من لسان العرب :

يقول ابن منظور في باب تفسير الحروف المقطعة ج ا :

روي ابن عباس رضي الله عنهما في الحروف المقطعة مثل ألم، المص، المر، وغيرها ثلاثة أقوال :

أحدها أن قول الله عز وجل : " ألم " أقسم بهذه الحروف إن هذا الكتاب الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم هو الكتاب الذي من عند الله عز وجل لا شك فيه قال هذا في قوله تعالى : " ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه " والقول الثاني عنه : أن " الر، حم، ن " اسم الرحمن مقطع في اللفظ ، موصول في المعني .

والقول الثالث عنه أنه قال : " ألم ذلك الكتاب "

قال : " ألم " معناه أن الله أعلم وأروى .

وروى عكرمة في قوله : " ألم ذلك الكتاب "

قال : " ألم " قسم .

وروى عن السدي قال : بلغني عن ابن عباس أنه قال : " ألم " اسم من أسماء الله وهو الاسم الأعظم وروى عكرمة عن ابن عباس : الر، والم، وحم حروف معرفة أى بينت معرفة . قال أبي فحدثت به الأعمش فقال : عندك مثل هذا ولا تحدثنا به ؟

وروي عن قتادة قال : " ألم " اسم من أسماء القرآن وكذلك " حم " و " يس " وجميع ما في القرآن من حروف الهجاء من أوائل السور وسئل عامر عن فواتح القرآن، نحو " حم " ونحو " ص " و " ألم " و " الر " . قال : هي اسم من أسماء الله مقطعة بالهجاء . إذا وصلتها كانت اسما من أسماء الله ثم قال عامر " الرحمن " قال : هذه فاتحة ثلاث سور إذا جمعتهم كانت اسما من أسماء الله تعالى وروى أبو بكر بن أبي مريم عن ضمرة

بن حبيب وحكيم بن عمير يرأسند بن سعد قالوا: "المر" و"المص" و"الم" وأشباه ذلك وهي ثلاثة عشر حرفا إن فيها اسم الله الأعظم.

وروى عن أبي العالية في قوله: "الم" قال: هذه الحروف الثلاثة من التسعة والعشرين حرفا ليس فيها حرفا إلا وهو مفتاح اسم من أسماء الله وليس فيها حرف إلا وهو في آلائه وبلائه وليس فيها حرف إلا وهو في مدة قوم

وآجالهم. قال: وقال عيسى بن عمر: أعجب أنهم ينطقون بأسمائه ويعيشون في رزقه كيف يكفرون به قال ألف مفتاح اسمه: الله ولام مفتاح اسمه: لطيف وميم مفتاح اسمه: مجيد. فالألف آلاء الله واللام لحف الله والميم مجد الله والألف واحد واللام ثلاثون والميم أربعون.

وروى عن عبد الرحمن السلمي قال: "الم" آية و"حم" آية.

وروى عن أبي عبيدة أنه قال: هذه الحروف المقطعة حروف الهجاء وهي افتتاح كالم ونحو ذلك قال الأخفش: ودليل ذلك أن الكتاب الذي ذكر قبل السورة قد تم. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال في "كهيعص": هو كاف، هاء، يمين، عزيز، صادق؛ جعل اسم اليمين مشتقا من اليمن وسنوسع القول في ذلك في ترجمة يمن إن شاء الله تعالى. وزعم قطرب أن "الر" و"المص" و"الم" و"كهيعص" و"ص" و"ق" و"يس" و"ن"، حروف المعجم لتدل أن هذا القرآن مؤلف من هذه الحروف المقطعة التي هي: حروف أب ب ث، فجاء بعضها مقطعا وجاء تمامها مؤلفا ليدل القوم الذين نزل عليهم القرآن أنه - بحروفهم التي يعقلونها - لا ريب فيه. قال: ولقطرب وجه آخر في "الم" زعم أنه يجوز أن يكون لما لنا القوم في القرآن فلم يتفهموه حين قالوا: "لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه" أنزل عليهم ذكر هذه الحروف لأنهم لم يعتادوا الخطاب بتقطيع الحروف فسكتوا لما سمعوا الحروف طمعا في الظفر بما يحبون ليفهموا بعد الحروف القرآن وما فيه فتكون الحجة عليهم أثبت إذا جحدوا بعد تفهم وتعلم.

وقال أبو اسحاق الزجاج: المختار من هذه الأقاويل

ما روى عن ابن عباس وهو: أن معنى "الم" أنا الله

أعلم وأن كل حرف منها له تفسير.

قال: والدليل على ذلك أن العرب تنطق بالحرف الواحد تدل بها على الكلمة التي هو منها وأنشد: قلت لها قفى فقالت قى فنطق بقاف فقط، تريد أقف وأنشد أيضا:

ناديتهم أن أجمعوا إلا تـ
قال تفسيره: نادوهم أن أجمعوا ألا تركبون؟ قالوا جميعا: لا فاركبوا فإنما نطق بتاء وفاء كما نطق الأول بقاف.

وقال: وهذا الذي اختاروه في معنى هذه الحروف والله أعلم بحقيقتها.
وروى عن الشعبي أنه قال: لله عز وجل في كل كتاب سر وسره في القرآن حروف الهجاء المذكورة في أوائل السور.

وأجمع النحويون أن حروف التهجى وهى الألف والباء والتاء والثاء وسائر ما في القرآن منها أنها مبنية على الوقف وأنها لا تعرب. ومعنى الوقف أنك تقدر أن تسكت على كل حرف منها فالنطق بها: "الم".

والدليل على أن حروف الهجاء مبنية على السكت كما بني العدد على السكت أنك تقول فيها بالوقوف مع الجمع بين ساكنين كما تقول إذا عدت: واحد، اثنين، ثلاثة، أربعة فتقطع ألف اثنين وألف اثنين ألف وصل وتذكر الهاء في ثلاثة وأربعة ولولا أنك تقدر السكوت لقلت ثلاثة كما تقول ثلاثة يا هذا. وحققا من الإعراب أن تكون سواكن الأواخر وشرح هذه الحروف وتفسيرها: أن هذه الحروف ليست نجري مجرى الأسماء المتمكنة والأفعال المضارعة التي يجب لها الإعراب إنما هي تقطيع الاسم المؤلف الذي لا يجب الإعراب إلا مع كماله. فقولك "جعفر" لا يجب أن تعرب منه الجيم ولا العين ولا الفاء ولا الراء دون تكميل الاسم وإنما هي حكايات وضعت على هذه الحروف فإن أجريتها مجرى هذه الأسماء وحدثت عنها قلت: هذه كاف حسنه وهذا كاف

حسن وكذلك سائر حروف المعجم فمن قال: هذه كاف أنت بمعنى الكلمة ومن ذكر فلمعنى الحرف والإعراب وقع فيها لأنك تخرجها من باب الحكاية.

قال الشاعر: كافا وميمين وسينا طاسما

وقال آخر: كما بينت كاف تلوح وميمها

فذكر طاسما لأنه جعله صفة للسین وجعل السین في معنى الحرف
وقال: "كاف تلوح" فأنت الكاف لأنه ذهب بها إلى الكلمة وإذا عطفت هذه الحروف بعضها على بعض أعربتيا فقلت: ألف وباء وتاء وثاء غلي آخرها والله أعلم.

وقال أبو حاتم : قالت العامة في جمع "حم" و"طس" طواسين وحواميم. قال :
والصواب ذوات طس وذوات حم وذوات الم وقوله تعالى "يس" كقوله عز وجل " **الم** " و" **حم** " وأوائل السور .

وقال عكرمة: معناه يا إنسان لأنه قال: "إنك لمن المرسلين" .
وقال ابن سيده: الألف والأليف حرف هجاء. وقال الأخفش: هي من حروف
المعجم، مؤنثة، وكذلك سائر الحروف وقال : هذا كلام العرب وإذا ذكرت جاز. وقال
سيبويه : حروف المعجم كلها تذكر وتؤنث كما أن الإنسان يذكر ويؤنث. قال : وقوله
عز وجل " **الم** " و " **المص** " و " **المر** ". قال الزجاج: الذي اخترنا في تفسيرها قول ابن
تيسان إن " **الم** " أنا الله أعلم و " **المص** " أنا الله أعلم وأفصل و " **المر** " أنا الله أعلم
وأرى.

قال بعض النحويين : موضع هذه الحروف رفع بما بعدها قال: " **المص** كتاب"
فكتاب مرتفع بالمص وكأن معناه " **المص** " حروف كتاب أنزل إليك قال: وهذا لو
كان كما وصف لكان بعد هذه الحروف أبدا ذكر الكتاب فقوله: " **الم** الله لا اله إلا هو
الحى القيوم" يدل على أن " **الم** " مرافع لها على قوله وكذلك "يس والقرآن الحكيم"
وكذلك " **حم** عسق، كذلك يوحى إليك" وقوله " **حم** والكتاب المبين إنا أنزلناه"
فهذه الأشياء تدل على أن الأمر على غير ما ذكر . قال ولو كان كذلك أيضا لما كان
" **الم** " ■ " **حم** " مكررين .

قال: وقد أجمع النحويون على أن قوله عز وجل : " **كتاب أنزل إليك** " مرفوع بغير
هذه الحروف فالمعنى هذا كتاب أنزل إليك وذكر الشيخ أبو الحسن علي الحرالي
شينا في خواص الحروف المنزلة أوائل السور وسنذكره في الباب الذى يلي هذا في
ألقاب الحروف.

هوامش

- ١- راجع ترجمته في بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ج ١ ص ٢٤٨.
شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ج ٦ ص ٢٧٠٢٦.
حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي ج ١ ص ٣٠٧، ٢١٩. كشف
الظنون حاجي خليفة دار الفكر العربي د. ت ١٢٩، ١٣٠، ٢٩٤. إيضاح المكنون
للبيدادي - دار الفكر العربي د. ت ١ / ٣٤١، معجم المؤلفين عمر رضا كحالة -
مدرسة الرسالة الأولى ١٩٩٣ - ج ٢ ص ٧٣١
- ٢- راجع الحديث عن لسان العرب وصاحبه في ابن حجر، الدرر الكامنة ودائرة
المعارف الإسلامية، الصفدي: أعيان العصر، د. عبد الله درويش: المعاجم
العربية، د. حسن نصار: المعجم العربي
- ٣- ابن منظور، لسان العرب ص ١١، ١٢

ثانياً

حياة الحيوان الكبرى للدميري

يعد كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري نموذجاً جيداً للمعاجم المتخصصة. إذ اختار الحيوان ليصنف فيه معجمه ، و نحاول فيما يأتي دراسة هذا الكتاب بادئين بالترجمة للمصنف و مشيرين إلى ظروف عصره ثم دارسين الكتاب نفسه و محللين إياه .

عصر المصنف :-

أولاً : عاش المؤلف كمال الدين الدميري في عصرين متجاورين ، هما عصر دولة المماليك البحرية و المماليك البرجية ، وقد عاصر من سلاطين الفترتين اثني عشر سلطاناً ابتداءً من عهد الملك الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاوون الذي تقلد السلطنة سنة ٧٤٣ هـ حتى ٧٤٥ هـ ، وانتهاءً بالملك الناصر فرج بن برقوق المتوفى سنة ٨١٤ هـ .

الحال السياسية:

وإذا كانت الفترة الأولى قد تميزت بنوع من الإستقرار السياسي خصوصاً في بدايتها أيام بيبرس وقلاوون وابنه حسن، فإن هذا الأمر لم يكن متاحاً دائماً في الدولة الثانية ولو أن العصر شهد سلاطين أقوياء مثل برقوق وبرسباي وغيرهما ولكن الاضطرابات الداخلية لم تتوقف طيلة العصر بسبب الشهرة إلى السلطة والتنافس عليها والحسد وكثيراً ما كان يثور حاكم المنطقة ضد سلطانه وكذلك القواد وكبار الأمراء وكان الاستيلاء على السلطة في أي وقت أمر متاح للقادة الكبار في الجيش لأن السلطة شبه عسكرية، مركزية، والقواد العسكريون يتمتعون بنفوذ واسع. والخليفة لا يملك إلا الاسم والتوقيع فحسب. وكذلك عامة الناس كانوا أبعد ما يكونون عن المتغيرات السياسية وهم الذين يتحملون أوزار الانقلابات العسكرية والثورات دائماً .

الحروب والأوضاع العسكرية :

خاض المماليك في الدولة البحرية ومنذ قيامها حروباً عدة مشرفة كان أولها معركة عين جالوت سنة ٦٦٢ هـ التي أوقفت الزحف المغولي ووضعت له حداً بل تراجع المغول بعد تلك المعركة منهزمين نحو الشرق وتوالت المواجهات بعد ذلك

أيام الظاهر بيبرس الذي أمضى سبعة عشر عاما وهي مدة سلطنته مجاهدا مقاتلا ضد الصليبيين والمغول واستطاع أن يحرر الكثير من المواقع التي احتلها الفرنجة علي سواحل الشام والواقع ان هذه الفترة من حكم المماليك قد أنقذت ما تبقى من بلاد الإسلام وتصدت بشجاعة للغزوين المغولي والصليبي وقد أعاد السلطان الظاهر بيبرس الخلافة العباسية إلي سابق مجدها وجعل القاهرة مقر الخلافة بعد سنة ٦٥٦هـ حيث سقطت بغداد بأيدي المغول واستمر الوضع العسكري علي هذا المنوال في الدولة الثانية حيث كان الفرنجة يحاولون النزول علي سواحل الشام أو مصر بين وقت وآخر فكانوا يتصدون لهم وبمسالة حتى إن برسباى تعدى ذلك علي أن غزى قبرس وأسر ملكها وغنم الغنائم العظيمة .

أما الحجاز أيام الدولة الثانية فكان يخضع للسلطة المركزية في القاهرة وكان السلاطين يتدخلون عند الضرورة لفض المنازعات علي الحكم في مكة وما يليها. كما امتدت سلطة الدولة المملوكية إلى اليمن والسواحل الشرقية لشبه الجزيرة العربية .

الحالة الإجتماعية : -

إن التنافس علي السلطة والمعارك الجانبية التي كانت تشب هنا وهناك في مصر والشام بالإضافة إلى المواجهات العنيفة ضد المغول ومن بعدهم الفرنجة الصليبيين كانت تستنزف الطاقات المالية والاقتصادية في مصر مما دفع الكثير من الملوك لفرض ضرائب جديدة كلما دعت الحاجة مما أثقل كاهل الناس خصوصا في مصر ولم يقتصر الأمر علي الإنفاق الحربي، لكن اشتركت عوامل أخرى في تعقيد الأحوال المعيشية من ذلك: الطاعون والأوبئة الأخرى التي كانت تتفشى من وقت لآخر فيذهب آلاف الناس ضحية لذلك وبالتالي ينعكس الأمر سلبا علي البلاد لفقدان الأيدي العاملة في الزراعة وفي الحرف الأخرى وأكثر ما يلاحظ ذلك في الدولة الثانية حيث تفاقمت الضرائب وازدادت المصادرات وتغلب الجند علي مقدرات البلاد والعباد وكثرت ثورات الأعراب خصوصا في صعيد مصر ويضاف علي ذلك ما

كان يسببه انخفاض النيل من أزمة في رى المزروعات فتقل المواسم وترتفع الاسعار ويكثر السلب والنهب والمصادرات .

أما طبقات الشعب، فكانت الطبقة الحاكمة، طبقة المماليك السلاطين والأمراء والجنود ومعظمهم كانوا ينحدرون من أصول غير عربية وبعضهم لم يكن يتكلم العربية وعمة الشعب وتنقسم إلى تجار متوسطى الحال والسواد الأعظم من الناس من المزارعين والفقراء.

الحال الثقافية : -

إن الأوضاع السياسية غير المستقرة والأحوال الاقتصادية المتدهورة والحرب التى لا تكاد تتوقف حتى تشتعل فى غير مكان، كل ذلك كان عائقا أمام أى نهضة علمية شاملة، ولم يكن من السهل تخطى ذلك الواقع خصوصا وأن بغداد عاصمة العلم والحضارة فى المنطقة كلها سقطت وضاع بسقوطها تراث أجيال فى العلوم المختلفة وتشتت أهل العلم فمنهم من قضى نحبه ومنهم من هاجم على وجهه ينشد الأمن والنجاة وكان لحسن حظ بعضهم أن يمتنوا شطر مصر فأفادوا منها وأعطوها من غزير علومهم وبذلك تحولت الحركة العلمية إلى القاهرة فتوافد أهل العلم من جميع الأقطار الإسلامية والعربية إلى عاصمة الخلافة نظرا لما تحتله هذه العاصمة من مكانة فى قلوب أهل الإسلام باعتبارها ترفع راية الجهاد ضد قوى الطغيان والغزو فضلا عن الرعاية التى لقيها أهل العلم فى العهود المختلفة وفى الدولتين.

ورعاية المماليك للعلم والعلماء تتمثل بإقامتهم للمدارس وقد أوقفوا لها الأوقاف وأجروا الرواتب على المعلمين والمتعلمين واهتموا بالمساجد فعينوا لها الخطباء والأئمة حتى غدت هى أيضا مراكز علمية مشعة فمن المساجد التى لعبت دورا بارزا فى النهضة الجامع الأزهر وقد ساهم فى إحياء العلوم المختلفة، علوم اللغة والطب والرياضيات والموسيقى والحديث النبوى وعلوم القرآن وغير ذلك من علوم العصر ومن المساجد التى لعبت الدور نفسه جامع العطارين بالاسكندرية وجامع دمياط وجامع أسبوط وقوص وقفت كما رعى السلاطين المدارس الدينية التى كانت

تدرس الفقه على المذاهب الأربعة وجامع عمرو بن العاص الذي كان يضم أربعين حلقة.

ومن الجدير بالذكر أن ديوان الإنشاء كان من المؤسسات التي ساهمت في الإبقاء على اللغة العربية كلغة للتأليف والكتابة باعتبار أن هذا الديوان هو الأكثر نشاطا في حقل الكتابة فيو السجل الرسمي للدولة وفيه تدون كافة الوثائق الصادرة والواردة وكان يقوم بذلك كتاب أدباء بلغاء عملوا على إغناء العربية بأساليبهم الرفيعة ولو طغى عليها بعض التصنيع في بعض الأحيان ولا يفوتنا أن ننوه بما كان للقضاء من دور مميز هو الآخر حمل عبئا غير قليل للتمكين للعربية ولأساليب التعبير من خلال ما يدونه القضاة بن عهود ومواثيق وأحكام ونظرا لما تقدم فباستطاعتنا أن نرصد مئات الأعلام ، علماء وأدباء ، فمن المؤرخين أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردي المتوفى سنة ٨٧٤هـ وشمس الدين السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢هـ وتقى الدين المقرئ المتوفى سنة ٨٤٥هـ وابن إياس المتوفى سنة ٩٢٠هـ وفي اللغة والأدب: جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ والذي تعد مؤلفاته بالعشرات في كل علم وفن: في التفسير والحديث والفقه واللغة والنحو وابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ.

ومن الجدير بالذكر أن أهل الذكر كانوا يقربون أهل المعرفة والأدب ولكنهم تشددوا مع المنحرفين عن الدين ومع أهل الفلسفة ومن أهل الفلسفة التفتازاني سعد الدين وعبد الرحمن الإيجي ونصير الدين الطوسي وغيرهم.

وقد تنافس أهل العلم في اقتناء الكتب وجمعها حتى ليقال إن نجم الدين بن حجي ترك بعد وفاته ثلاثة آلاف مجلد من الكتب النفيسة وذكر المقرئ في المكتبة وحدها أربع عشرة مكتبة عامة. ولم تكن دمشق تقل شأنا في هذا المجال وعرف فيها من المدارس العمرية والناصرية وخزانة للكتب.

وفي حلب عرفت نهضة علمية تمثلت بعدد المدارس التي كانت فيها حتى اجتياح تيمورلنك لها سنة ٨٠٣هـ إذ بلغ عدد مدارسها ثلاثمائة مدرسة دمرها الغزو

المنولى فى ذللك الوقت ولكن نشأت مدارس 'خريى منيا : الشعبانية والعثمانية والمنصورية والخسرية وكانت لها أوقاف جارية.

وعلى وجد العموم فإن العصر المملوكى بفترتيه عرف نشاطا ثقافيا ملحوظا فى سائر العلوم والفنون للأسباب التى أشرنا إليها حتى عدت المؤلفات بعشرات الآلاف فى مدة زمنية لم تتجاوز ثلاثمائة عام تعاقب خلالها على الحكم سلاطين أشداء وجهوا همهم على الحرب والجهاد ولكنهم لم يغفلوا أبدا عن تشجيع العلوم وتقريب العلماء فلا يخلو عصر أحد منهم من بناء جامع أو مدرسة أو مكتبة كما فعل قلاوون وابنه الناصر والملك الظاهر جقمق وبيبرس وقايتباى وقنصوه النورى وبعضهم كان مثقفا كالمؤيد شيخ الذى كان "يركز الفن وينظم الشعر وله أشياء كثيرة من الفن دائرة بين المغنيين الآن".

حياة المصنف (١):

كمال الدين أبو البقاء: محمد بن عيسى بن على الدميرى القاهرى الفقيه الشافعى.

ولد بقرية (دميرة) بمصر سنة ٧٤٢هـ. نشأ بالقاهرة وتكسب بالخياطة ثم أقبل على التعلم فتلقى تعليمه بالأزهر.

أساتذته :-

- ١- بهاء الدين أحمد السبكى الفقيه وقد لازمه كثيرا.
- ٢- بهاء الدين بن عقيل النحوى.
- ٣- كمال الدين أبى الفضل النويرى الفقيه.
- ٤- جمال الدين الإنسانى وهو شيخه فى الفقه.
- ٥- برهان الدين القيراطى.
- ٦- مظفر الدين العطار المصرى الذى سمع منه جامع الترمذى.
- ٧- على بن أحمد العرضى الدمشقى.
- ٨- عبد الرحمن بن على الثعلبى.

٩- محمد بن علي الخزاوي الذي سمع عنه كتاب "الخيال" للحافظ شرف الدين الدمياطي عنه.

١٠- الجمال محمد بن أحمد بن عبد المعطي الذي سمع منه في مكة صحيح ابن حبان كمال الدين محمد بن عمر بن حبيب الحلبي الذي سمع منه بمكة سنن ابن ماجة ومسند الطيالسي ومسند الشافعي ومعجم ابن قانع وأسباب النزول للواحدى والمقامات الحيرية وغير ذلك.

فهو مفسر ، محدث، فقيه أصولي ، أديب، نحوي ارتحل إلي مكة وجاور مكة مدة سنتين وأخذ الحديث بمكة عن الجمال بن عبد المعطي وقد سمع منه سنن الترمذي وأخذ مسند أحمد عن الكمال محمد بن عمر بن حبيب.

برع في التفسير والحديث والفقه وأصول العربية والأدب وأذن له بالإفتاء والتدريس وتصدى للإقراء فانتفع به جماعته.

تولى التدريس بالجامع الأزهر وكانت له حلقة تعقد يوم السبت وكانت لها حلقة يوم الجمعة غالب بالجامع الظاهر بالحسينية وحلقة بالقبة البيبرسية بالأزهر الشريف . توفي سنة ٨٠٨هـ.

من مصنفاته : -

١- حياة الحيوان الكبرى.

٢- النجم الوهاج في شرح مناهج الطالبين في فروع الفقه الشافعي.

٣- شرح لابن العجم الصفدي.

٤- شرح سنن ابن ماجة في خمس مجلدات أسماء الديباجة.

٥- شرح المعلقات السبع.

٦- أرجوزة منظومة طويلة في الفقه.

تلامذته : -

١- المقرئ صاحب كتاب الخطط والآثار وقد صحبه سنوات.

٢- الصلاح الأقفي في مكة المكرمة.

ابنته أم حبيبة توفيت بمكة سنة ٨٠٩ هـ .

التقى الفاسى في مصر وهو أهم تلامذته الذين أخذوا عنه الحديث .

منهج المصنف :-

إن الدميرى ، قد رتب كتابه على حروف المعجم ، وضمنه من أسماء الحيوانات ما تنامى إلى سمعه ، ومن مصادر كثيرة ومختلفة تتراوح ما بين كتب يونانية وعربية قديمة أو ما كان قريبا لعهد المؤلف ، الذى اطلع على تلك الكتب ، المتخصصة فى عالم الطب والحيوان ، ووعى ما فيها ، ونقحها ، وطرح جانباً ما لم يقتنع به ، وأقر ما رأى عليه إجماعاً لدى العلماء ، ومع حذره الشديد ، فإنه قد أبقى على معلومات كثيرة ، غريبة وعجيبة ، ولكنه نقلها على ذمة أصحابها وناقليها ، فأيد كل مروياته بإسنادها إلى روايتها ، بالتسلسل المعروف وصولاً إلى المنشأ الأساس ، ولم يفته أن يرد ، حيث يقتضى الأمر ، على الأغاليط .

أما طريقته فى عرض المعلومات ، فإنه يبدأ بوصف الحيوان ، بعد أن يضبط اسمه ضبطاً تاماً بالشكل ، ويعرف بالأصل اللغوى له ، ويقدم بعد ذلك عرضاً لبعض الأخبار والمرويات التى تدل على طبائع ذلك الحيوان ، وفى الإطار يستحضر طائفة من الأحاديث النبوية الشريفة ، والآيات القرآنية الكريمة التى لها علاقة بالموضوع ، فضلاً عما جاء حوله من أشعار قديمة ، وأمثال وحكم . ثم يورد ما قاله الفقهاء فى شأن الحيوان المذكور من حيث الحكم الشرعى فى أكله أو عدمه ، يؤيد ذلك بالأقوال المختلفة ، وبأحاديث نبوية وآيات كريمة ، وينتهى إلى ذكر الخواص الطبية من المنافع والمضار من لحم ذلك الحيوان أو غيره .

نموذج من حياة الحيوان الكبرى

باب الهمزة

الأسد : من السابع معروف ، وجمعه أسود وأسد وأسد وآساد والانشى أسدة وفى حديث أم زرع " زوجى إن دخل فهد - وإن خرج أسد " . وله أسماء كثيرة ، قال ابن خالويه : للأسد خمسمائة اسم وصفة . وزاد عليه على بن قاسم بن جعفر اللغوى مائة

وثلاثين اسماً فمن أشهرها: (أسامة والبيس والنّاج والجندب والحارث وحيدرة والدواس والرئبال وزفر والسبع والصعب والضرغام والضيغم والطيثار والغنيس والغضنفر والفرافصة والقسورة وكيمس والليث والمتأنس والمتهيب والهرماس والورد). وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى . ومن كناه أبو الأبطال وأبو حفص وأبو الأخياف وأبو الزعفران وأبو شبل وأبو العباس وأبو الحارث .

وانما ابتدئنا به لأنه أشرف الحويان المتوحش : إذ منزلته منها منزلة الملك المهاب ، لقوته وشجاعته وقساوته وشهامته وجهامته وشراسته خلقه ، ولذلك يضرب به المثل في القوة والنجدة والبسالة وشدة الإقدام والجراءة والصولة . ومنه قيل لحمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه : أسد الله ويقال : من نبل الأسد أنه اشتق لحمزة بن عبد المطلب من اسمه ، وكذلك لأبي قتادة ، فارس النبي (ص) ففي صحيح مسلم ، في باب إعطاء القاتل سلب المقتول . فقال أبو بكر رضى الله عنه ((كلا والله لا يعطيه أضيعة من قريش ، ويدع أسداً من أسد الله تعالى يقاتل عن الله ورسوله)) . وسيأتى إن شاء الله تعالى في باب الضاد المعجمة .

وهو أنواع كثيرة قال أرسطو : رأيت نوعاً منها يشبه وجه الإنسان ، وجسده شديد الحمرة ، وذنبه شبيه بذنب العقرب ، ولعل هذا هو الذى يقال له الورد . ومنه نوع على شكل البقر له قرون سود نحو شبر ، وأما السبع المعروف فإن أصحاب الكلام فى طبائع الحيوان ، يقولون : إن الأنثى لا تضع إلا جرواً واحداً تضعه لحمه ليس فيه حس ولا حركة ، فتحرسه كذلك ثلاثة أيام ، ثم يأتى أبوه بعد ذلك فينفخ فيه ، المرة بعد المرة ، حتى يتنفس ويتحرك وتنفرج أعضاؤه ، وتشكل صورته ، ثم تأتى أمه فترضعه ، ولا يفتح عينيه إلا بعد سبعة أيام من تخرجه ، فإذا مضت عليه بعد ذلك ستة أشهر كلف الاكتساب لنفسه بالتعليم والتدريب . قالوا : وللأسد من الصبر على الجوع وقلة الحاجة إلى الماء ما ليس لغيره من السباع ومن شرف نفسه : أنه لا يأكل من فريسة غيره فإذا شبع من فريسته تركها ولم يعد إليها وإذا جاع ساءت أخلاقه وإذا امتلأ من الطعام ارتاض ، ولا يشرب من ماء ولغ فيه كلب : وقد أشار غلى ذلك الشاعر بقوله :

وأترك حبها من غير بغض
إذا وقع الذباب علي طعام
وتجنب الأسود ورود ماء
وقد ألغز بعضهم في القلم فقال:
وأرقش مرهوف الشبابة مهفوف
تدين له الآفاق شرقا ومغربا
يشئت شمل الخطب وهو جميع
وتعنو له ملاكها وتطيع

حمى الملك مفظوما كما كان تحتوى به الأسد في الآجام وهو رضيع وإذا
أكل نهس من غير مضغ وريقه قليل جدا ولذلك يوصف بالبحر ويوصف بالشجاعة
والجبن فمن جنبه أنه يفزع من صوت الديك ونقر الطست ومن السنور ويتحير عند
رؤية النار وهو شديد البطش ولا يألف شيئا من السباع لأنه لا يرى فيها ما يكافئه ومتى
وضع جلده على شئ من جلودها تساقطت شعورها ولا يدنو من المرأة الحائض ولو
بلغ الجهد، ولا يزال محموما، يعمر كثيرا وعلامة كبره سقوط أسنانه: روى ابن سبع
السبتى في شفاء الصدور عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما أنه خرج
في بعض أسفاره فبينما هو يسير إذا هو بقوم وقوف فقال: ما لهؤلاء القوم؟ قالوا: أسد
على الطريق قد أخافهم فنزل عن دابته ثم مشى إليه ثم أخذ بأذنه ونحاه عن
الطريق ثم قال: ما كذب عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: "إنما سلطت
على ابن آدم لمخافته غير الله، ولو أن ابن آدم لم يخف إلا الله تعالى لم تسلط عليه و
لو لم يرج إلا الله تبارك وتعالى لما وكله إلى غيره".

وفي سنن أبى داود من حديث عبد الرحمن بن آدم وليس له عنده سواه،
عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: "ينزل عيسى
بن مريم عليه الصلاة والسلام الى الأرض ورأسه يقطر ولم يصبه بلل، وأنه يكسر
الصليب ويقتل الخنزير ويفيض المال وتقع الأمانة في الأرض حتى يرعى الأسد مع
الإبل والنمر مع البقر والذئب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ولا يضر بعضهم بعضا
ثم يبقى في الأرض أربعين سنة ثم يموت ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه".

وفى الحلية لأبى نعيم فى ترجمة ثور بن يزيد قال: بلغنى أن الأسد لا يأكل إلا من أتى محرما. وقصة سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الأسد مشهورة، رواه البزار والطبرانى وعبد الرزاق والحاكم وغيرهم.

وذكر البخارى فى تاريخه أنه بقى إلى زمن الحجاج، روى محمد بن المنكدر عنه أنه قال: "رَبَّتْ سَفِينَةٌ فِي الْبَحْرِ فَانْكَسَرَتْ فَرَكِبْتُ لَوْحًا فَأَخْرَجَنِي إِلَى أَجْمَةٍ فِيهَا أَسَدٌ فَأَقْبَلَ إِلَيَّ فَقُلْتُ: أَنَا سَفِينَةُ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا تَائِهَةٌ فَجَعَلَ يَغْمِزُنِي بِمَنْكِبِهِ حَتَّى أَقَامَنِي عَلَى الطَّرِيقِ ثُمَّ هَمَّهُمْ فَظَنَنْتُ أَنَّهُ السَّلَامُ" وفى دلائل النبوة للبيهقى، عن أبى المنكدر أيضا أن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أخطأ الجيش بأرض الروم وأسرى فى أرض الروم فانطلق هاربا يلتمس الجيش فإذا هو بالأسد فقال له: "يا أبا الحارث أنا سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان من أمرى كيت وكيت فأقبل الأسد يبصص حتى قام إلى جنبه فلم يزال كذلك حتى بلغ الجيش فرجع الأسد".

واختلف فى اسم سفينة رضى الله عنه فقيل رومان وقيل مهران وقيل طعمان وقيل عمير .

روى مسلم له حديثا واحدا والترمذى والنسائى وابن ماجه .

ودعا النبى صلى الله عليه وسلم على عتبة بن أبى لهب فقال: "اللهم سلط عليه كلبا من كلابك" فافترسه الأسد بالزرقاء من أرض الشام رواه الحاكم من حديث أبى نوفل بن أبى عقرب عن أبيه وقال صحيح الإسناد.

وروى الحافظ أبو نعيم بسنده إلى الأسود بن هبار قال: تجهز أبو لهب وابنه عتبة نحو الشام فخرجت معهما فنزلنا الشراة قريبا من صومعة راهب فقال الراهب: ما أنزلكما ههنا؟ هنا سباع فقال أبو لهب: أنتم عرفتم سنى وحقى قلنا: أجل. قال: إن محمدا دعا على ابنى فاجمعوا متاعكم على هذه الصومعة ثم افرشوا لابنى عليه وناموا حوله ففعلنا ذلك وجمعنا المتاع حتى ارتفع ودرنا حوله وبات عتبة فوق المتاع فجاء الأسد فشم وجوهنا ثم وثب فإذا هو فوق المتاع فقطع راسه فقال: سيفى يا كلب ولم يقدر على غير ذلك وفى رواية فوثب الأسد فضربه بيده ضربة

واحدة فخدشه فقال: قتلني فمات لساعته وطلبنا الأسد فلم نجده وإنما سناه النبي صلى الله عليه وسلم كلبا لأنه يشبهه عند رفع رجله عند البول.

فائدة: روى البخارى فى صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " فر من المجزوم فرارك من الأسد " وفى حديث آخر أنه صلى الله عليه وسلم أخذ بيد مجزوم وقال: " بسم الله ثقة بالله وتوكلا عليه وأدخلها معه الصحيفة " قال الشافعى رحمه الله فى عيوب الزوجين: إن الجذام والبرص يعدى وقال: إن ولد المجذوم قلما يسلم منه. قلت ومعنى قول الشافعى رضى الله عنه أنه يعدى. أى بتأثير الله تعالى لا بنفسه لأن الله تعالى أجرى العادة بابتلاء السليم عند مخالطة المبتلى وقد يوافق قدرا وقضاء فيظن أنه عدوى. وقد قال صلى الله عليه وسلم: " لا عدوى ولا طيرة " كما سيأتى ذلك إن شاء الله تعالى. وأما قوله فى الولد: " قلما يسلم منه " فقد قال الصيدلانى: معناه أن الولد قد ينزعه عرق من الأب فيصير أجذم. وقد قال صلى الله عليه وسلم لرجل قال له: إن امرأتى قد ولدت غلاما أسود " لعل عرقا نزعه " وبهذا الطريق يحصل الجمع بين هذه الأحاديث.

وجاء فى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم: " لا يورد ذو عاهة على مصحح " وإنه صلى الله عليه وسلم أتاه مجذوم ليباعه فلم يمد يده إليه بل قال: " امسك يدك فقد بايعتك " وفى مسند الإمام أحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا تطيلوا النظر إلى المجذوم وإذا كلمتموه فليكن بينكم وبينه قدر رمح " .

وقد ذكر الشيخ صلاح الدين العراقى فى القواعد أن الأم إذا كان بها جذام أو برص سقط حقها من الحضانة لأنه يخشى على الولد من لبنها ومخالطتها واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم: " لا يورد ذو عاهة على مصحح " والذى ذكره ظاهر وهو المختار ويؤيد ما أفتى به ابن تيمية صاحب المحرر، من الحنابلة رحمه الله وصرح به أئمة المالكية، أن المبتلى لو أراد مساكنة الأصحاء فى رباط أو غيره منع إلا بإذنهم ولو كان ساكنا وابتلى أزعج وأخرج وأما أصحابنا فصرحوا بأن الأمة إذا كان مجذوما وجب عليها تمكينه من الإستمتاع وهذا نع إشكاله قد أورد فى الروضة فى الزوجة المختارة للمقام مع الزوج المجذوم وقد يفرق بينهما بقوة الملك والله اعلم.

وقد جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لإمراة: أكلت الأسد فأكلها" وروى الطبراني وأبو منصور الديلي والحافظ المنذري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أتدرون ما يقول الأسد في زنيـره؟ قالوا الله ورسوله أعلم. قال: "إنه يقول: اللهم لا تسلطني على أحد من أهل المعروف".

فائدة أخرى: روى ابن السني في عمل اليوم والليلة من حديث داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أنه قال: "إذا كنت بواد تخاف فيه الأسد فقل: أعوذ بدانيال وبالجب من شر الأسد" أشار بذلك إلى ما رواه البيهقي في الشعب: أن دانيال عليه السلام طرح في جب وألقيت عليه السباع فجعلت السباع تلحسه وتبصبص إليه فأتاه ملك فقال: من أنت؟ فقال: أنا رسول ربك أرسلني إليك بطعام فقال دانيال: الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره وروى ابن أبي الدنيا أن بختنصر ضرى أسدين وألقاهما في جب وألقى بدانيال فألقى عليهما فمكث ما شاء الله ثم انه اشتهى الطعام والشراب فأوحى الله تعالى إلي أرمياء وهو بالشام أن يذهب إلي دانيال بطعام وشراب وهو بأرض العراق فذهب إليه به حتى وقف على رأس الجب وقال دانيال دانيال فقال: من هذا؟ فقال: أرمياء فقال: ما جاء بك؟ قال: أرسلني إليك ربك فقال دانيال: الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره والحمد لله الذي لا يخيب من رجاء والحمد لله الذي من وثق به لا يكله إلى سواه والحمد لله الذي يجزي بالإحسان إحسانا والحمد لله الذي يجزي بالصبر نجاة وغفرانا والحمد لله الذي يكشف ضرنا بعد كربنا والحمد لله الذي هو ثقتنا حين يسوء ظننا بأعمالنا والحمد لله الذي هو رجاؤنا حين تنقطع الحيل منا.

ثم روى ابن أبي الدنيا من وجه آخر أن الملك الذي كان دانيال في سلطانه جاءه المنجمون وأصحاب العلم فقالوا له: إنه يولد في ليلة كذا وكذا غلام يفسد ملكك فأمر بقتل كل من يولد في تلك الليلة فلما ولد دانيال ألقته أمه في أجمة أسد ولبوة فبات الأسد ولبوته يلحسانه فنجاه الله سبحانه وتعالى بذلك حتى بلغ ما بلغ وكان من أمره ما قدره العزيز العليم. ثم روى بإسناده عن عبد الرحمن بن

أبى الزناد عن أبيه أنه قال : رأيت في يد أبى بردة بن أبى موسى الأشعري رضى الله عنه خاتما نقش فيه أسدان بينهما رجل وهما يلحسان ذلك الرجل فقال أبو بردة: هذا خاتم دانيال أخذه أبو موسى حين وجده ودفنه فسال أبو موسى علماء تلك البلدة عن ذلك فقالوا: إن دانيال نقش صورته وصورة الأسدين وهما يلحسانه في فص خاتمه كما ترى لنلا ينسى نعمة الله عليه في ذلك فلما ابتلى دانيال عليه السلام بالسباع أولا وآخرا جعل الله تعالى الإستعاذة به في ذلك تمنع شر السباع التي لا تستطيع . وفي المجالسة للدينوري عن معاذ بن رفاعة قال: مريحي بن زكريا عليهما السلام بقبر دانيال النبي عليه السلام فسمع صوتا من القبر يقول : سبحان من تعزز بالقدرة وقهر العباد بالموت فمضى فإذا هو بصوت من السماء أنا الذي تعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت من قالهن استغفرت له السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن . وكان دانيال عليه السلام قد أتاه الله تعالى النبوة والحكمة وكان في أيام بختنصر. قال أهل التاريخ : إن بختنصر أسر دانيال مع من أسر من بني إسرائيل وحبسهم ثم رأى بختنصر رؤيا أفزعته وعجز الناس عن تعبيرها ففسرها دانيال فأعجبه وأكرمه ، قالوا: وقبره بنهر السوس ووجده أبو موسى الأشعري رضى الله عنه فأخرجه وكفنه وصلى ثم قبره في نهر السوس وأجرى عليه الماء .

وفي المجالسة أيضا قال عبد الجبار بن كليب : كنا مع إبراهيم بن أدهم في سفر فعرض لنا الأسد فقال إبراهيم: قولوا : اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واحفظنا بركنك الذي لا يرام وارحمنا بقدرتك علينا لانهلك وأنت رجاؤنا يا الله يا الله يا الله قال: فولى عنا الأسد هاربا قال : فأنا به عند كل أمر مخوف فما رأيت إلا أخيرا.

هوامش

- ١- راجع ترجمة الدميري في عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، سابق ج ٣ ص ٧٤٢-
د. فاطمة محجوب الموسوعة الذهبية في العلوم الإسلامية دار الفد العربي
الأولى ج ١٧ ص ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، السيوطي، حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٤٩، ابن
العماد الحنبلي شذرات من الذهب ج ٧ ص ٨٠، ٧٩، حاجي خليفة، كشف
الظنون سابق ٦١٩، ٦٩٦، وغيرها، الزرعي، الأعلام ج ٧/١١٨، السخاوي،
الضوء اللامع، ٥٩/١٠، العقد الثمين: ٣٧٢/٢.

الفصل الثالث

مصادر الأدب والنقد والبلاغة

يجدر بنا قبل الخوض فى هذه الزاوية من زوايا تراثنا العربى أن نتحدث فى عجلة عن نشأة هذه الفنون العربية- الادب والنقد والبلاغة- ومعيومها وتطور مدلولاتها وأزعم أن هذا الدرس ذو ضرورة خاصة لما يمكن أن يثيره من لبس وخلط فى أذهان الدارسين أحيانا فنحن عندما نصف فى المكتبة العربية وجب علينا أن نعيش كما كان أبابها يعيشون ونفكر كما كانوا يفكرون وبمعنى آخر لا ينبغي لنا أن نحكم على التراث بمفهوم عصرنا فارضين عليه مصطلحاتنا الحديثة إلا بقدر ما يتلاءم مع روحه وماهيته وخصائصه العامة .

فالتأيت أن المكتبة العربية قد عرفت التأليف فى فترة مبكرة ، منذ منتصف القرن الثانى الهجرى وظهور الجاحظ وابن قتيبة ثم جيل المؤلفين بعدهما من أمثال المبرد وثلعب وابن عبد ربه وغيرهم .

ومما يلفت نظر الباحثين من الظواهر التى سادت البيئة الأدبية الموروثة أن جزءا كبيرا من تلك المصادر التراثية تشغله المكتبة الأدبية والنقدية والبلاغية وقد أدى إلى بروز هذه الظاهرة عدد من العوامل :

١- يرجع هذا الاهتمام بالتصنيف فى الأدب والنقد والبلاغة إلى عناية العرب بصفة عامة بالشعر بوصفه مادة الأدب الأساسية إذ كان يمثل لهم أهمية خاصة فى حياتهم فهو بوقهم الذى ينفرون على أثر الاستماع إليه وهو طبولهم التى يكرون بعد قرعها وهو الصحيفة التى تنشر فكرهم وتحفظ أنسابهم وتثنى أعدائهم ... إلخ.

٢- من الدوافع أيضا أن الشعر كان عند العرب فنهم الرئيسى ولم يكن لديهم فن غيره كأمة الفرس أو اليونان أو غيرهم من الذين كانوا يعنون بشعرهم بوصفه أحد فنونهم وليس كل ما لديهم فلم يكن العرب يبرعون فى غير فن القول وخصوصا الشعر مما جعل الإعجاز القرآنى والتحدى الربانى منصبا ومركزا فى الأساس على الإعجاز فى البيان واللغة.

٣- والدافع الثالث أن القرآن الكريم يعتمد فى الأساس على اللغة والبيان فى نشر الدين إذ يخاطبهم بما برعوا فيه وتفوقوا .

وإذا تحدثنا عما تدل عليه كلمة أدب عند العرب فإنها لم يكن لها نفس المدلول الذى نعنيه حديثا فقد دلت فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء على التذيب والرقى الأخلاقى واستخدمت فى العصر الأموى بمعنى الشعر ثم اتسعت فى العصر العباسى فأصبحت تعنى كل ما يكتب أو يلفظ بشكل فنى وتعبير جميل.

وفى هذا العصر اتسع مدلول الكلمة أيضا ليشمل كل المعرفة الإنسانية إذا عبر بشكل منظم منسق فكأنه فى هذا المفهوم قريب من المأدبة التى تحوى كل ما لذ وطاب وهذا عينه هو المعنى المادى الأولى لمادة أدب .

وقد عرفت الحضارة العربية الإسلامية عددا من المؤلفين كانت طريقة تناولهم لموضوعات مؤلفاتهم طريقة شاملة فجمعوا فى هذه المؤلفات قدرا هائلا من المعارف السابقة إلى جانب معارف عصرهم وفقا لما كان شائعا لديهم من مفهوم للأدب على أنه الأخذ من كل شئ بطرف والفقير المتأدب هو كل من أحاط بعلوم عصره أو على حد تعبير الحسن بن سهل أحد وزراء العصر العباسى حيث يقول: إن الآداب عشرة: ثلاثة شهر جانية وثلاثة أنوشهر وانية وثلاثة عربية وواحدة أربت عليهن.

فأما الشهر جانية : فضرب العود ولعب الشطرنج ولعب الصوالج وأما الأنوشروانية : فالطب والهندسة والفروسية وأما العربية فالشعر والنسب وأيام الناس وأما الواحدة التى أربت عليهن فمقطعات الحديث والسمر وما يتلقاه الناس فى المجالس وقد أدى هذا بالطبع إلى أن تكون ثقافة الأديب ثقافة عامة موسوعية وإلى أن تكون الكتابات التى تتناول هذه الثقافات كتابات موسوعية كذلك . أما بالنسبة لمفهوم النقد والناقد عند العرب قديما فإنهم كانوا يتصورون النقد والناقد فى إطار الصورة العامة للأدب فالأدب عندهم صناعة كسائر الصناعات والنقد صناعة ولكنه غير قائم بذاته بل متصل بالأدب فهى صناعة تذوق لا صناعة خلق وإنشاء .

يقول ابن سلام فى طبقاته واصفا صناعة الأدب:

"وللشعر صناعة ثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات منها ما تثقفه العين ومنها ما تثقفه الأذن ومنها ما تثقفه اليد ومنها ما تثقفه اللسان من ذلك اللؤلؤ والياقوت لا تعرفه بصفة ولا وزن دون المعاينة ممن يبصره ومن ذلك الجهبدة بالدينار والدرهم لا تعرف جودتهما بلون ولا مس ولا طراز ولا وسم ولا صفة ويعرفه الناقد عند المعاينة فيعرف بهرجا وزائفا وستقوها ومفرغها (٢) ٠٠٠ فكذلك الشعر يعلمه أهل العلم به. (٣) ويقول ابن رشيق القيروانى فى عمدته: "وقد يميز الشعر عن لا يقوله كالبراز يميز من الثياب ما لم ينسجه والصيرفى ويخبر من الدنانير ما لم يسبكه ولا ضربه حتى إنه ليعرف مقدار ما فيه من الغش وغيره فينتقص قيمته.

وعلى هذا فالناقد عند العرب هو الرجل الذى يستطيع أن يميز بين الجيد والردىء من القول ويعتمد فى هذا التمييز على الخبرة والخبرة متعددة الجوانب، منها ما هو طبيعة فى الناقد وهى موهبة فيه يوهبها كما يوهب الشاعر ملكة الشعر ومنها ما هو مكتسب بالدربة والممارسة والصلة الطويلة بالصناعة يتولاها الناقد بنقده فيلم بأصولها وخبائرها.

أما فيما يختص بالبلاغة فإن مفهومها وماهيتها قد اختلفت اختلافا كبيرا وتباينت عبر رحلتها منذ المصنفين الأوائل فكانت كلمة البلاغة إذا وردت قديما وخصوصا قبل القرن الرابع الهجرى تعنى المعنى العام للقول الجميل الذى يبلغ به الأديب درجة من الجودة والإبداع وهى أكثر ما تطلق وصفا فيقال: فى قول فلان بلاغة وتتعدد جوانب الجودة بتعدد نظرة من يستخدم اللفظة (٥).

هذا فقد عرف النقاد البلاغة بأنها مجموعة الخصائص التى توفر للقول الجودة والفوا فيها ثم نجدهم يضيفون معنى جديدا للبلاغة كما ظهر فى كتاب الصناعتين لأبى هلال العسكري إذ يتحدث فى بداية كتابه عن القول فى البلاغة يعنى "البيان" وينقل آراء الجاحظ وجملا من أقواله فى البلاغة بمعناها العام .

وفى النصف الثانى من الكتاب يتحدث عن البلاغة باعتبارها مجموعة الخصائص التى تتوافر فى كل قول جميل ويفرد لذلك أبوابا كل باب كل باب

يستقل بنوع من تلك الخصائص. يبدوها بالخصائص الجميلة ثم يثنى بالخصائص القبيحة فالتشبيهات الحسنة والتشبيهات القبيحة وهكذا.

كذلك الرومانى فى "النكت" يستخدم البلاغة بالمعنيين جميعاً فيقول (٦): "فأما البلاغة فهى على ثلاث طبقات منها ما هو فى أعلى طبقة ومنها ما هو فى أدنى طبقة ومنها ما هو فى الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة فما كان فى أعلاها طبقة فهو معجز وهو بلاغة القرآن وما كان منها دون ذلك فهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس وليست البلاغة إلهام المعنى لأنه قد يفهم المعنى متكلمان: أحدهما بليغ والآخر عيبى ولا البلاغة أيضاً بتحقيق اللفظ على المعنى لأنه قد يحقق اللفظ على المعنى وهو غث مستكره ونافر متكلف وإنما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب فى أحسن صورة من اللفظ فأعلاها طبقة فى الحسن بلاغة القرآن وأعلى طبقات البلاغة للقرآن خاصة".

ثم يقسم البلاغة إلى عشرة أقسام هى: الإيجاز والتشبيه والاستعارة والتلاؤم والفواصل والتجانس والتصريف والتضمين والمبالغة وحسن البيان (٧).

وبذلك حدد الرومانى فى هذا الكتاب مدلول الكلمة فى معناها الاصطلاحى المعروف وأصبحت بعده عنواناً لهذه المجموعة من الخصائص الأسلوبية والجمالية الأخرى فى البيان والتى تدخل ضمنها أبواب البديع باعتبارها تلك الفنون التعبيرية التى لجأ إليها المحدثون ليكسبوا أدبهم رونقاً بعد أن ضاق عليهم نطاق القول أو أحسوا بضيق نطاقه على ما اعتاد القدماء أن يقوموا ووفق قواعد الشعر التى اصطنعوها وكانوا أقدر عليها وكذلك لتلائم هذه الفنون التعبيرية رونق الحضارة وطلاوتها.

ويبدو أن هذا الجمع بين أبواب البلاغة كما وصفها الرومانى وأبواب البديع كما ذكرها المعتز قبله فى كتاب "البديع" والجمع بين الاثنين فى كتاب الصنائع كان دليلاً على أن تلك الخصائص التعبيرية كانت مختصة بالفنيين جميعهما الشعر والنثر وليست مقتصورة على النثر ولا أسلوب القرآن كما أنها ليست مقصورة على الشعر وشعر المحدثين (٨).

وبناء على ما سبق نستطيع أن نخرج بنتيجة أخيرة هي أنه في نهاية القرن الرابع الهجري ظهرت كلمة بلاغة بمدلولها الاصطلاحي المعروف وألف عبد القاهر الجرجاني كتاب "أسرار البلاغة" وهو مدرك لهذا المدلول تمام الإدراك ويقول المؤرخون للبلاغة إن عبد القاهر هو الذى وضع الأسس الواضحة لهذا العلم بتأليفه كتاب "دلائل الإعجاز" فى "علم المعانى" و"أسرار البلاغة" فى "علم البيان" وبعد: نشير إلى عدد من المصنفات التى أثرت مكتبتنا التراثية على اختلاف أنواعها أدبا ونقدا وبلاغة فمنها البيان والتبيين للجاحظ توفى ٢٥٥هـ والحيوان والبخلاء له أيضا والكامل للمبرد وعيون الأخبار لابن قتيبة وأمثال العرب للمفضل المنى (ت ١٦٨هـ) وجمهرة الأمثال لأبى هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) ومجمع الأمثال للميدانى، أبو الفضل أحمد بن النيسابورى (ت ٥١٨هـ) ومن مجموعات الخطب والرسائل والمقالات نذكر: رسائل الجاحظ للجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ) ورسائل صاحب بن عباد للصاحب بن عباد، مقامات بديع الزمان الهمزاني للهمزاني ومقامات الحريري للحريرى ومن مصادر كتب الأخبار الأدبية والتاريخ الأدبي نذكر: مجالس ثعلب لثعلب، أحمد بن يحيى (ت ٢٩١هـ) والموشى أو كتاب الظرف والظرفاء للوشاء، أبو الطيب محمد بن اسحق (ت ٣٢٥هـ) وأدب الكتاب للصولى، محمد بن يحيى (ت ٣٣٥هـ) والأمالى للقالى أبو على إسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦هـ) وزهر الآداب وعز الألباب للحصرى القيروانى، أبو اسحق إبراهيم (ت ٤١٣هـ) ومن مصادر النقد الأدبي النظرية والتطبيقية نذكر: كتاب القوافى للأخفش، أبو الحسن سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥هـ) وطبقات فحول الشعراء لابن سلام، محمد بن سلام الجمحى (ت ١٢٢هـ) وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة، وعبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ) وقواعد الشعر لثعلب، أبو العباسى أحمد بن يحيى (ت ٢٩١هـ) وكتاب الخراج وصناعة الكتابة لقدامة بن جعفر (ت ٣٢٠هـ) وكتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر وأخبار أبى تمام لأبى بكر الصولى (ت ٣٢٥هـ) والموازنة بين شعر أبى تمام والبحترى للأمدى، أبو القاسم الحسن بن بشر (ت ٣٧٠هـ) والوساطة بين المتنبى وخصومه للقاضى الجرجاني (ت ٣٩٢هـ) والصناعتين لأبى هلال العسكري (ت

٣٩٥هـ) والعمدة في صناعة الشعر لابن رشيق القيرواني (ت ٤٦٠هـ) ومن مصادر الدراسات البلاغية نذكر: الفصاحة للدينوري (ت ٣٨٠هـ) والفصاحة للمرزباني بكر بن عبد الله (ت ٤٧١هـ) والمفتاح للسكاكي، أبو يعقوب (ت ٦٢٦هـ) وتلخيص في علوم البلاغة للقزويني، جلال الدين بن عبد الرحمن (ت ٧٣٩هـ).
وهاكم فيما يأتي دراسة لقطرات من هذا البحر الخضم من المصنفات التراثية :-

هوامش

- ١- راجع د. السعيد الورقي ، مصادر التراث العربي ص٩٩
- ٢- البهرج: الردىء الفضة ، فيبطل ويرد. الستوق: إذا كان من ثلاث طبقات يرد ويطرح، والمفرغ: المصمت المصبوب في قالب ليس بمضروب.
- ٣- محمد بن سلام الجمحي (١٣٩-٢٣١هـ) طبقات فحول الشعراء، شرحه: محمود محمد شكر ج ١ ص ٧
- ٤- ابن رشيق، العمدة في الشعر ١/٧٥
- ٥- راجع الجاحظ ، البيان والتبيين ١/١١٣، ١٠٦
- ٦- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ٦٩
- ٧- السابق ص ٧٠
- ٨- د. محمد زغلول سلام ، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري، ص ٢٠ وما بعدها

أولا

الحيوان للجاحظ

حياته وعصره:

الجاحظ إمام عصره في الكتابة وأمير البيان هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناي ولد بالبصرة ١٥٩ هـ وتوفي سنة ٢٥٥ هـ فقد عاش الجاحظ في العصر الذهبي للأمة العربية عصر هارون والمأمون والعلوم والفنون يومئذ لذا ذكر عصره بمؤلفات عديدة وجمهرة عظمى من العلماء .

وقد عاصر الجاحظ ممن ضربوا بسهم كبير في وقارة الإنتاج الفكري والتأليف واستووا على عاية قصر عنها من عداهم وهم:-

١- أبو عبيد معمر بن المثنى (١١٠-٢٠٩) وكان من أهل البصر، ولد وتوفي بها وقد ذكر صاحب الوفيات أنه قد ترك ما يقارب مائتي مصنف (١) ذكر منها ابن النديم مائة وخمسة (٢) وقال فيه الجاحظ "لم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلم منه" (٣)

٢- أبو الحسن علي بن محمد المدائني (١٣٥-٢٢٥) له نحو مائتين وأربعين مصنفًا كما ورد في فهرس ابن النديم وقد روى الجاحظ عنه في البيان وفي الحيوان روايات كثيرة .

٣- هشام بن محمد الكلبي الكوفي (ت ٢٠٦) وقد حصرها عبد السلام محمد هارون في تسعة وثلاثين ومائة مصنف.

وقد أفاد الجاحظ إفادة كبيرة من صحبتته لهؤلاء الأساتذة فعشق القراءة والكتابة وكان من أقرأ أهل عصره إذ دفعه ذلك إلى أن يكرى دكاكين الوراقين فيقيم على ما فيها من كتب فيقرأها كما أثبت أبو هفان (٤) العجيب أن هذه الكتب التي عشقها غدرت به وقتلته بسقوطها عليه (٥) وعلى الرغم من ذلك كله فإنه قد ترك لنا مجموعة ضخمة من المؤلفات.

تصنيفاته:

ترك لنا الجاحظ مصنفات في شتى ألوان المعرفة قدرت بما يقارب ستين وثلاثمائة مصنف (٦) وذكر ابن حجر أنها مائة ونيف وسبعين كتابا (٧).

والسؤال الذى يطرح نفسه: أين ذهبت كتب الجاحظ العديدة ولم تصل إلينا؟ لابد إذن أن تكون هناك أسباب أدت إلى هذا نحاول الإشارة إليها فيما يأتى أو على الأقل نذكر بعضها:-

١ - إن أعاصير الخلاف المذهبى قد عصفت ببعضها وفضا لما كانت تحوى من آراء المعتزلة الذين كان الجاحظ من رؤسهم.

٢- أدى إلى ذلك أيضا الخمود الدهنى وهبوط الهمم.

٣- الفوضى السياسية التى منيت بها الأمم الإسلامية فى مسانها الأول والنس كانت قائمة- فى أكثر ما تقوم- على التدمير والتخريب والانتقام ويثبت هذه النقاط الثلاث أن الفهرست لابن النديم لم يذكر الجاحظ ومصنفاته إلا عرضا.

وأهم كتب الجاحظ التى تركها لنا (٨):

١ - الحيوان وفيه مجموعة مناظرات جدلية بين أنصار كل حيوان تحتج له مفاضلة ومفضلة ومؤيدة بالحجج والمقنعات .

٢ - المحاسن والمساوى وهو محاجات جدلية تعرض لمحاسن الشئ ومساوئه.

٣ - البيان والتبيين.

٤ - كتاب الإمامة.

٥ - نظم القرآن.

٦ - الرد على المشبهة.

٧ - الموالى والعرب.

٨ - مدح التجار.

٩ - ذم عمل السلطان.

١٠ - كتاب البخلاء.

ويؤخذ على مؤلفات الجاحظ افتقارها إلى حسن النظام والتبويب وكثرة الاستطرادات وربما كان مرجع هذا إلى المفهوم الذى كان سائدا آنذاك للآدب على أنه الأخذ من كل شئ بطرف فيجمع من ثم بين التهذيب والمعرفة والتسلية .

إذن كان للجاحظ وجهة خاصة في كتبه وتأليفه فلم يكن همه هم غيره من المؤلفين في الجمع والرواية والحفظ وإنما حاول أن يتكرر موشيا ما يقول بالدعابة والهزل فجمع بذلك قلوب المستمعين إليه وكان يتقرب إلى العامة (٩) كما استمال أيضا إعجاب الخاصة في المعارف العالية والسياسات الرفيعة.

كتاب الحيوان:

لقد سبق اليونانيون العرب في وضع كتب يكون موضوعها الحيوان أما عند العرب فكان الجاحظ أول من وضع كتابا في هذا الفن يحوى مادة غزيرة ومنهجيا واضحا إلى حد كبير بالرغم من أنه سبق ببعض المحاولات لكن هذه المصنفات لم توضع بالقصد العلمى الخالص بل كانت باحثة في اللغة أولا (١٠).

مصادر كتاب الحيوان: -

اعتمد الجاحظ في تأليفه كتاب الحيوان على عدد من المصادر نذكر منها: -

- ١ - القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف .
- ٢ - الشعر العربى و بصفة خاصة البدوى منه حيث كثر وصف الإبل و الخيل و غيرها .
- ٣ - كتاب الحيوان لأرسطو .
- ٤ - الفكر الإعتزالى و جدل المتكلمين الذى يبرز بوضوح خصوصا فى الجزئين الأول و الثانى من الكتاب .
- ٥ - الخبرة الشخصية و كثرة سؤال العارفين .

صعوبة تأليف كتاب الحيوان: -

لقد واجه الجاحظ فى أثناء تأليفه هذا الكتاب صعوبات كثيرة خصوصا أنه

كان فى الشطر الأخير من حياته وقد ذكر هو نفسه هذه الصعوبات (١١) وهى:-

١- العلة الشديدة إذ كان قد أصيب بالفالج لمدة قد تحتل ربع عمره : اثنتين

وعشرين سنة تقريبا (١٢).

٢- قلة الأعوان الذين كان لابد له من الاستعانة بهم فى هذه الظروف.

٢- حجم الكتاب الضخم إذ كلفه البحث في القرآن والحديث والشعر والأخبار والجدل وغير ذلك من كتب الفلاسفة والأطباء.

أهمية كتاب الحيوان ومنهج الجاحظ فيه:

قيمة كتاب الحيوان:

لا يعرف فضل هذا الكتاب إلا من نظر فيه طويلاً وتناول نواحيه بالدرس والتبيين . وقد يوهم اسمه أنه قد خصص بالحيوان وما يمت إليه بسبب . ولكز الحق أن الكتاب معلمة واسعة وصورة ظاهرة لثقافة العصر العباسي المتشعبة الأطراف . فقد حوى الكتاب طائفة صالحة من المعارف الطبيعية والمسائل الفلسفية كما تحدث في سياسة الأقوام والأفراد وكما تكلم في نزاع أهل الكلام وسائر الطوائف الدينية .

تحدث الكتاب في كثير من المسائل الجغرافية وفي خصائص كثير من البلدان وفي تأثير البيئة في الحيوان والإنسان والشجر كما تناول الحديث في الأجناس البشرية وتباينها وكما عرض لبعض قضايا التاريخ . وفيه كذلك حديث عن الطب والأمراض : أمراض الإنسان والحيوان وبيان لكثير من المفردات الطبية نباتها وحيوانها ومعديها .

تحدث فيه الجاحظ عن العرب والأعراب وأحوالهم وعاداتهم ومزاجهم وعلومهم كما أفاض القول في آي الكتاب العربي وحديث الرسول العربي وكما فصل بعض مسائل الفقه والدين .

والكتاب كذلك ديوان جمع الصفوة المختارة من حر الشعر العربي ونادره وناهيك باختيار أبي عثمان وإن أردت الأمثال فإنه قد جمع لك منها القدر الكبير أو أحببت الحديث في البيان ونقد الكلام والشعر وجدت ما ترتاح إليه نفسك وتطمئن . أما فكاهة الجاحظ فهذه قد نثرت في الكتاب نثراً وإنها لتطالعك بين الفنية والأخرى متمثلة فيما يروى من نادرة أو يحكى من قصة وأما المبحون فلا عليك أن تمر به لتظهر لك ناحية من النواحي التي غلبت على كثير من متادبي عصر الجاحظ التي لم فيها حرج حينئذ ولا خشية .

نموذج من كتاب الحيوان للجاحظ

ما ذكر صاحب الديك من ذم الكلاب وتعداد أصناف معاييبها ومثالبها: من لؤمها وجبنها وضعفها وشرها وغدرها وبذانها وجهلها وتسرعها ونتاجها وقدرها وما جاء فى الآثار من النهى عن اتخاذها وإساکها ومن الأمر بقتلها وطردها ومن كثرة جنایاتها وقلة ردها ومن ضرب المثل بلؤمها ونذالتها وقبحها وقبح معاظلتها ومن سماجة نباحها وكثرة أذاها وتقذر المسلمين من دنوها [وأنها تأكل لحوم الناس] وأنها كالخلق المركب والحيوان الملقق: كالبغل فى الدواب وكالراعى فى الحمام وأنها لا سبع ولا بهيمة ولا إنسية ولا جنية وأنها من الحن دون الجن وأنها مطايا الجن ونوع من المسخ وأنها تنبش القبور وتأكل الموتى وأنها يعتريها الكلب من أكل لحوم الناس.

فإذا حكيّا ذلك حكيّا قول من عدد محاسنها وصنف مناقبها وأخذنا من ذكر أسمائها وأنسابها وأعرافها وتفدية الرجال إياها واستهتارهم بها وذكر كسبها وحراستها ووفائها وإلفها وجميع منافعها والمرافق التى فيها وما أودعت من المعرفة الصحيحة والفطن العجيبة والحسن اللطيف والأدب المحمود وذلك سوى صدق الاسترواح وجودة الشم وذكر حفظها ونفاذها واهتدائها وإثباتها لصور أربابها وجيرانها وصبرها ومعرفتها بحقوق الكرام وإهانتها للثام وذكر صبرها على الجفا واحتمالها للجوع وذكر ذمامها وشدة منعها معاهد الذمار منها وذكر يقظتها وقلة غفلتها وبعد أصواتها وكثرة نسلها وسرعة قبولها وإلقاحها وتصرف أرحامها فى ذلك مع اختلاف طبائع ذكورها والذكور من غير جنسها وكثرة أعمامها وأخوالها وترددتها فى أصناف السباع وسلامتها من أعراق البهائم وذكر لقنها وحكايتها وجودة ثقافتها ومهنتها وخدمتها وجددها ولعبها وجميع أمورها بالأشعار المشهورة والأحاديث الماثورة وبالكتب المنزلة والأمثال السائرة وعن تجربة الناس لها و فراستهم فيها وما عاينوا منها وكيف قال أصحاب الفأل فيها وبإخبار المتطيرين عنها وعن أسنانها وأعمارها وعدد جراتها ومدة حملها وعن أسمائها وألقابها وسماتها وشياتها وعن دوائها وأدوائها وسياستها وعن اللاتى لا تلقن منها وعن أعرافها والخارجى منها وعن أصول مواليدها

ومخارج بلدانها وذكر صاحب الديك ما يحفظ من أكل الكلاب للحوم الناس فقال:

قال الجارود بن أبي سبرة في ذلك:

ألم تر أن الله ربي بحوله
فمن كان عنه بالمغيب سائلا
تظل الكلاب العاديات ينبشه
وقال نفيع بن صفار المحاربي من ولد محارب بن خصفه في حرب قيس وتغلب:

أفنت بي جشم بن بكر حربنا
أكل الكلاب أنوفهم وخصاهم
حتى تعادل ميل تغلب فاستوى
فلتبك تغلب للأنوف وللخصى

وقال أبو يعقوب الخريمي وهو اسحاق بن حسان بن قوهي في قتلى حرب بغداد:
وهل رأيت الفتيان في باحة
كل فتى مانع حقيقته
المعرك مغفورة مناخرها
يشقى به في الوغى مساعرها
مخضوبة من دم أظافرها
باتت عليه الكلاب تنهشه

وقال أبو الشمقمق (وهو مروان بن محمد، مولى مروان بن محمد ويكنى أبا محمد):
يوسف الشاعر فرخ
حلقي قد تلقى
وجدوه بالأبله
كامنا في جوف جلّه
خيطلوها خشيّة
الكلب عليه بمسأله

وذكر لي عن أبي بكر الهذلي قال: كنا عند الحسن إذا أقبل وكيع ابن أبي

أسود فجلس فقال يا أبا سعيد: ما تقول في دم البراغيث يصيب الثوب:

أيصلي فيه؟ فقال: يا عجباً ممن يلغ في دم المسلمين كأنه كلب ثم يسأل عن دم
البراغيث!! فقام وكيع يتخلج في مشيته كتخلج المجنون فقال الحسن: إن لله في
كل عضو منه نعمة فيستعين بها على المعصية، اللهم لا تجعلنا ممن يتقوى بنعمتك
على معصيتك!!

هوامش

- ١- الوفيات ج ٢ ص ١٠٦
- ٢- الفهرست ٧٩
- ٣- البيان والتبيين ج ١ ص ٢٤٧
- ٤- راجع ابن النديم الفهرست ص ٢٠٧
- ٥- شذرات الذهب ج ٢ ص ١٧٢
- ٦- راجع مرآة الزمان الورقة ٥٨ من المجلد الثالث من الجزء العاشر ، مصورة دار الكتب المصرية والمسعودي ، مروج الذهب ج ٤ ص ٢٥٧
- ٧- لسان الميزان ج ٤ ص ٣٧٥ وياقوت الحموي ، معجم الأدباء ج ٦، ٧٥، ٧٨
- ٨- راجع معجم الأدباء (٧٢:٦ - ٧٣) والحيوان (٤: ٣٧٨) ومروج الذهب (٤: ٤٧) وفيات الأعيان (١: ٣٨٩) ، تاريخ بغداد (١٢: ٢١٤) ، معجم الأدباء (٦: ٧١، ٦٥)
- ٩- البيان والتبيين ١: ١٣٧
- ١٠- راجع كشف الظنون ١: ٤٥٦ ، ابن خلكان ٢: ١٨٨ وابن النديم الفهرست ٦٧ والأصمعي كتاب الوحوش والخيال والشاء
- ١١- الحيوان ٤: ٢٠٨-٢٠٩
- ١٢- راجع تاريخ بغداد ١٢: ٢١٩ ، الحيوان ٢: ١٢٦-١٢٩ ، ٦: ٤٠١ ، ٤: ٤١٩ ، ٧: ١٠٩ ، الحصري وجمع الجواهر ١٦٥ ، شذرات من الذهب ٢: ١٢٢ ، معجم الأدباء ٧: ٧٦، ٧٥ ، شرح العيون ١٣٦ ، مروج الذهب ٤: ٩٧ ، شذرات الذهب ٢: ٩٣ ، البيان والتبيين ٣: ٢٠٢

٢- كتاب البخلاء للجاحظ

البخلاء بين الجاحظ وغيره :-

لم يكن الجاحظ هو المبتدع للكتابة في موضوع البخلاء : فابن النديم في الفهرست ، و الجاحظ نفسه في كتاب البخلاء ، يشير إلى أن له في هذا الموضوع أسلافاً من أمثال الأصمعي وأبي الحسن المدائني وأبي عبيدة . ولكن الأمر مختلف بين الجاحظ وبينهم : إذ أنهم كانوا يتحدثون عن البخل و البخلاء فيما مضى قبل لحظة الكتابة و التأليف . أما الجاحظ فقد انتقل بالموضوع من الماضي إلى الحاضر فكانت قصصه حاضرة معيشة مسرورة في شكل طريف و قالب فني بديع لطيف ، وإن كانت الكتابة في البخلاء سواء قبل الجاحظ و بعده يدفعها و يوججها عاملان رئيسيان :-

- ١ - الدافع الأول لهذا اللون من حديث البخل تلك الخصومة الجنسية التي ثارت بين الروح العربية و الروح الشعوبية ، كما و جهت أنواعاً أخرى مختلفة من الأحاديث ، و خلقت ضروباً أخرى من الكتب و التأليف .
- ٢ - والدافع الثاني كان يتمثل في قيام دعاة الدولة القائمة - العباسية - و من وضعوا أنفسهم في خدمة السلطان ، و مسايرته في سبيله من العلماء و أهل الأدب ، و من هؤلاء من ينصر الدعوة العربية و يتعصب لها كالأصمعي ، و منهم من هو أميل إلى الشعوبية كالمدايني . وليست الدعوة للدولة ببعيدة عن الدعوة للشعوبية ، فبينهما و شائج واصلية ، وإن كانت قد اتخذت لوناً خاصاً بها . و لقد كانت الدولة العباسية تشعر منذ قامت على أنقاض الأمويين . بالحاجة إلى التمكين لنفسها ، و التخلص من هذه الأشباح الأموية التي كانت تتخيل لها . بيت الدعوة ضد هؤلاء الذين كانوا ما يزالون يمثلون في كثير من الأذهان طائفة من المزاي و الفضائل ، لا بد للدولة من محاولة تحقيقها باصطناع ضروب مختلفة من الدعاية . إلى جانب ما كانت تصطنعه من اخذ الامويين و أنصارهم بالقوة ، و تحريم الإشادة بذكرهم ، فكان من مظاهر هذا الموقف الذي اتخذته ضد الأمويين أن يوحى إلى العلماء و الكتاب بكتابة الكتب و إذاعة الرسائل . إشادة بمآثر الدولة القائمة ، و تمجيد العباس بن عبد المطلب ، و تفضيل هاشم

على عبد شمس . إلى غير ذلك من الموضوعات التي تحقق ذلك الغرض . من التماس شنع الامويين و تصنيف الكتب فيها . و طبعى أن يكون لرواة الاخبار نصيبهم الموفور من هذه السياسة . و كذلك جعلوا يتلقفون أخبار الشنع ما وجدوها . و يضعونها و يتزيدون فيها على خلفاء بنى أمية و عمالهم و سراتهم (١)

تاريخ تأليف كتاب البخلاء :-

ليس لدينا تاريخ قاطع نستطيع به أن نحدد على وجه اليقين متى صنف كتاب البخلاء . و إن كان لدينا حقيقتان يمكن أن نهتدى بهما :

١ - إن كتاب البخلاء مذكور في مقدمة كتاب الحيوان للجاحظ (٢) و هذا يعنى أن كتاب البخلاء سابقاً على كتاب الحيوان .

٢ - إنه يشير فيه إلى إصابته بالفالج في سياق قصة رجل يدعى محفوظاً النقاش ، إذ يحكى عنه أنه قال له :

(... و أنت رجل قد طنعت في السن و لم تدل تشكو من الفالج طرفاً) (٣) .

إذن فقد كتب الجاحظ كتابه البخلاء بعد أن أصيب بالفالج .

أما كتاب الحيوان فنستطيع القطع في طمأنينة علمية بأنه كتبه في أواخر حياته ، بعد مقتل المتوكل سنة ٢٤٧ ، و أكبر الظن عنده أنه كتبه قبيل وفاته ، و أما إصابته بالفالج فلا نملك ما نقطع معه بتاريخ ابتدائها ، و إن كان يبدو أنها ابتدأت في أواخر عهد ابن الزيات ، قبل مقتله سنة ٢٣٣ هـ (٤) .

إن هذا كله لا يشبعه رغبتنا الطامحة إلى معرفة تاريخه على وجه الدقة ، لكننا نستطيع الجزم بأن اتجاه الجاحظ إلى مثل هذا النوع من التأليف الفنى الخالص إنما كان بعد ما علت سنه و اتسع أفقه و بلغ من الدراسة النظرية الكلامية ما يريد ، و استوت له المنزلة له المنزلة التي كان يطمح إليها ، فاخذ بعد ذلك ينزع إلى ذلك النوع من الكتابة .

الخصائص الفنية لكتاب البخلاء :-

إن أهم ما يميز أسلوب الجاحظ في كتابه البخلاء ما يأتي :-

١ - البراعة في الوصف و الدقة في التصوير : و المقصود بالوصف هنا الوصف الحسى . و النفسى على السواء ، و هو فى سبيل ذلك لا يلجأ إلى التشبيهات و الإستعارات، بل يعتمد على قوة إدراكه لقيم الكلمات ، و إحساسه المليء بالظلال التى تنتشر عنها ، و هدايته البالغة فى كيفية تأليفها و تنسيقها و مزج ما بينها ، حتى تؤدى الأغراض التى يعنىها .

٢ - السخرية التى تشيع فى كتاباته المختلفة ، و هى تبرز بصفة خاصة فى كتاب البخلاء ، و مما تجدر الإشارة إليه أن السخرية عند الجاحظ إنما هى السخرية التى تقصد فى الأذواق المترفة و المدارك المرفهة و لم تكن بحال من الأحوال سخرية العامة ، إذ كانت سخرية الذهن الدقيق و الذوق الرفيع المذهب و الفن الخالص المتمكن .

نموذج من كتاب البخلاء للجاحظ

و حدثنى صاحب لى وقال :

دخلت على فلان ابن فلان ، و اذا المائدة موضوعة بعد ، و اذا القوم قد أكلوا و رفعوا أيديهم ، فمددت يدي لآكل فقال : أجهز على الجرحى ، و لا تعرض للأصحاء . يقول : أعرض للدجاجة التى قد نيل منها ، و للفرخ المنزوع الفخذ ، فأما الصحيح فلا تعرض له . و كذلك الرغيف الذى قد نيل منه و أصابه بعض المرق . و قال لى هذا الرجل : أكلنا عنده يوماً ، و أبوه حاضر ، و بنى له يجيئ و يذهب . فإختلف مراراً ، كل ذلك يرانا نأكل . فقال الصبى : كم تأكلون لا أطعم الله بطونكم!

فقال أبوه - و هو جد الصبى - ابنى و رب الكعبة .

حدثنى أبو الجهم النوشروانى قال :

حدثنى أبو الأحوص الشاعر قال :

كنا نفطر عند الباسيانى * فكان يرفع يديه قبلنا ويستلقى على فراشه ■
يقول: إنما نطعمكم لوجه الله ، لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً .

و كنت أنا و أبو اسحاق إبراهيم بن سيار النظام . و قطرب النحوى ** .
و أبو الفتح مؤدب منصور بن زياد ، على خوان فلان بن فلان . و لاخوان من جزعه .
و الغضار صينى ملمع . أو خلنجية كيما كية . و الألوان طيبة شهية و غذية قدية * .
و كل رغيف فى بياض الفضة ، كأنه البدر و كأنه مرآة مجلوة و لكنه على قدر عدد
الرؤوس . فأكل كل إنسان رغيفه إلا كسرة . و لم يشبعوا فيرفعوا أيديهم ، و لم يمدوا
بشيء فيتموا أكلهم . و الأيدى معلقة . و إنما هم فى تنقير و تننيف .

فلما طال ذلك طال ذلك عليهم ، أقبل الرجل على أبى الفتح - و تحت
القصة رفاقه - فقال : يا أبا الفتح خذ ذلك الرغيف فقطعه واقسمه على اصحابنا .
فتغافل أبو الفتح . ثم أعاد عليه القول فتغافل فلما أعاد عليه القول الرابعة قال :
مالك ويلك لا تقطعه بينهم ؟ قطع الله أوصالك ! قال : تبلى على يدى غيرى
اصلحك الله ! فخجلناه مرة ، وضحكنا مرة ، و ما ضحك صاحبنا ولا خجل .

وزرته أنا و المكى و كنت أنا على حمار مكارى ، و المكى على حمار مستعار .
فصار الحمار إلى أسوأ من حال الزور . فكلم المكى غلمانة فقال : لا أريد منكم التبن
فما فوقه ، اسقوه ماء فقط . فسقوه ماء بئر ، فلم يشربه الحمار ، و قد مات عطشا .
فاقبل المكى عليهم ، فقال : اصلحك الله انهم يسقون حمارى ماء بئر ، و منزل
صاحب الحمار على شارع دجلة . فهو لا يعرف إلا العذب . قال ، فامزجوه له يا غلام
فمزجوه فلم يشربه . فأعاد المسألة فأمكنه من أذن من لا يسمع إلا ما يشتهى .

و قال لي مرة : يا أخى ان ناسا من الناس يغمسون اللقمة إلى أصبارها فى المري
فأقول هؤلاء قوم يحبون الملوحة ولا يعجبون بالحامض . فما البث ان أرى أحدهم
يأخذ حرف الجرذقه ، فيغمسها فى الخل الحاذق و يغرقها فيه . و ربما رأيت أحدهم
يمسكها فى الخل بعد التثريق ساعة ، فأقول : هؤلاء قوم يجمعون حب الحموضة
إلى حب الملوحة . ثم لا البث ان أراهم يصنعون مثل ذلك بالخردل . و الخردل لا

يرام : قل لى أى شى طبائع هؤلاء ؟ و أى ضرب هم ؟ و ما دواؤهم ؟ و أى شىء
علاجهم ؟

فلما رأيت مذهبه و حمقه ، و غلبة البخل عليه و قهره له ، قلت : ما لهم
عندى علاج هو أنجع فيهم من أن يمتنعوا الصباغ كله . قال : لا والله إن هو غيره !
و صديق لنا آخر ، كنا قد ابتلينا بمؤاكلته ، و قد كان ظن أنا قد عرفناه بالبخل
على الطعام ، و هجس ذلك فى نفسه ، و توهم أنا قد تذاكرنا أمره . فكان يتزيد * فى
تكثير الطعام ، و فى اظهار الحرص على أن يؤكل ، حتى قال :
من رفع يده قبل القوم غرماه ديناراً * فيرى بعضهم أن غرم دينار أولى ،
فذلك منه محتمل فى رضا قلبه ، و ما يرجو من نفع ذلك له .

و لقد خبرنى خباز لبعض أصحابنا أنه جلده على إنضاج الخبز ، و أنه * قال
له : انضج خبزى * الذى يوضع بين يدي و اجعل خبز من ياكل معى على مقدار
بين المقدارين * . و أما خبز العيال و الضيف فلا تقربنه من النار إلا بقدر ما يصبر
العجين رغيفاً و بقدر ما يتماسك فقط . * فكلفه العويص * فلما أعجزه ذلك جلده
حد الزانى الحر .

فحدثت بهذا الحديث عبد الله الروضى ** فقال : ألم تعرف شأن الجدى ؟
ضرب الشواء ثمانين سوطاً لمكان الإنضاج . و ذلك أنه قال له ضع الجدى فى التنور
حين نضع الخوان ، حتى أستبطنك أنا فى إنضاجه ، و تقول أنت : بقى قليل . ثم
تجئنا به و كأنى قد أعجلتك . فإذا وضع بين أيديهم غير منضج * ، احتسب عليهم
بإحضار الجدى . فإذا لم يأكلوه أعدته إلى التنور ، ثم أحضرته الغد بارداً فيقوم
الجدى الواحد مقام جديين . فجاء به الشواء يوماً نضجاً ، فعمل فيه القوم . فجلده
ثمانين حلة ، جلد القاذف الحرة .

حدثنى أحمد بن المثنى ** عن صديق لى و له ، ضخم البدن كثير العلم
فاشى الغلة عظيم الولايات ، أنه إذا دعى على مائدته بفضل دجاجة أو بفضل رقاق
أو غير ذلك رد الخادم مع الخباز إلى القهرمان حتى يصك له بذلك الى صاحب
المطبخ .

ولقد رأيته مرة وقد تناول دجاجة فشقتها نصفين * فالقى نصفها إلى الذى
عن يمينه . و نصفها إلى الذى على شماله . ثم قال يا غلام جننى بواحدة رخصة .
فإن هذه كانت عضلة جداً . فحسبت أن أقل ما عند الرجلين ألا يعودا إلى مآندته
أبدأ .

فوجدتهما قد فخرا علىَّ بما حباهما به من ذلك دونى .
وكانوا ربما خصوه . فوضعوا بين يديه الدجاجة السمينه ، والدجاجة
الرخصة . فأنطفأت الشمعة فى ليلة من تلك الليالى ، فأغار على الأسوارى ** على
بعض ما بين يديه و اغتتم الظلمة ، وعمل على أن الليل أخفى للويل . ففطن له و ما
هو بالفطن إلا فى هذا الباب . وقال : كذلك الملوك كانت لا تأكل مع السوقه .

هوامش

- ١ - راجع : د . طه الحاجرى فى مقدمته لكتاب البخلاء للجاحظ . دار المعارف : ط٦ . ١٩٨١ م . ص ٢٩ وما بعدها .
- ٢ - الحيوان ١ / ٤ مصطفى البابى الحلبى .
- ٣ - البخلاء ص ١٢٣ .
- ٤ - راجع : سرح العيون . ص ١٣٦ .

٣- أُمّالِي أَبِي عَلِي الْقَالِي

إن صاحب كتاب الأمالي - الذي نحن بصدده هو أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي (٢٨٨-٣٥٦) (١) ولم يكن ممن تمنىهم أنفسهم بالجاء والسلطان ولم يكن يجد في صدره هوى إلى ألقاب السياسة أو مكاسب الثروة والغنى (٢) وإنما كان يشغل أبا علي تحصيل العلم والسعى إليه أينما وجد؛ فارتحل يتلمس العلم تاركا منشأه الأول في مدينة منازجرد (٣) حيث استقرت أسرته بل تاركا وطنه الكبير أرمينيا في ركب أهل قلقيليا (٤).

وقد ارتحل أبو علي إلى مدينة الموصل (٥) وبقر بها ما يزيد على السنة وما يقرب من السنين (٣٠٣-٣٠٥هـ) وقد التقى هناك بأول مشايخه أبي يعلى الموصلي (٢١٠-٣٠٧هـ) (٦) ثم غادر الموصل إلى بغداد قبة العلم آنذاك ومقصد العلماء وقضى فيها ثلاثة وعشرين عاما (٣٠٥-٣٢٨هـ) عاكفا على الدرس والتحصيل إلى أن تكونت شخصيته العلمية على يد كبار علمائها ثم رحل إلى قرطبة بالأندلس سنة (٣٢٨هـ) وقد اختلفت الآراء

حول أسباب هذه النقلة على النحو الآتي :

١- قيل أنه يأس من تلمس طريق المجد والشهرة في العراق حيث عمالة العلم وشيوخ الرواية. (٧)

٢- قيل إن الناصر أو ابنه الحكم هو الذي حثه على الرحلة واستدعاه إلى الأندلس (٨).

٣- وقيل ثالثا إن القالي ارتحل إلى الأندلس ليصيب شيئا من كسب المال والشهرة (٩).

وأيا ما كان الأمر وكانت الأسباب والدوافع فإن عالمنا الجليل وصل بعد رحلة إلى الأندلس ثلاث بقين من شعبان سنة (٣٣٠هـ) في خلافة عبد الرحمن الناصر واستقبل استقبالاً حافلاً (١٠) ومنذ وطئت قدم القالي الأندلس وهو يقوم بالتدريس والإملاء حتى توفي سنة (٣٥٦هـ).

مصنفاته

ترك أبو علي القالي للبشرية تراثاً تأليفياً غزيراً ولكن أن المؤسف أن كثيراً منه نجد له ذكراً في المصادر الأخرى لكنه لم يصل إلينا وبعض هذه المصنفات قد وصلنا بالفعل لنفيد منه ونحاول فيما يأتي ذكر بعض المصنفات التي وصلتنا والتي لم تصلنا لعلها تأتي يوماً ما والجدير بالذكر أن د. محمد مصطفى أبو شوارب قد تتبع أسماء المصنفات التي لم تصلنا من خلال المصادر التي ذكرتها إضافة إلى المصنفات التي بين أيدينا (١١).

أولا المصادر المفقودة:

- ١- كتاب الإبل ونتائجها وجميع أحوالها
- ٢- كتاب تفسير المعلقة وإعرابها.
- ٣- كتاب حلى الإنسان والخيال وشيائها
- ٤- كتاب فعلت وأفعلت
- ٥- فهرسة أبي علي وأخباره وتسمية كتبه وتوابعه
- ٦- لغة مجموعة
- ٧- كتاب مقاتل الفرسان

ثانياً: المصنفات الباقية:

- ١- كتاب الآمالى الذى نشغل بدرسه
- ٢- المقصود والممدود
- ٣- كتاب أفعال من كذا (فى الأمثال)
- ٤- البارع فى اللغة وقد مات القالى قبل أن يتم تأليفه

كتاب الآمالى:

يعد كتاب الآمالى من أهم آثار القالى العلمية وأكثرها رواجاً وأبعدها أثراً فى القيم والحديث بل هو من أهم كتب الآمالى مطلقاً وبذكر أن أبا علي أسمى الكتاب " فى الخمسة بالزهراء على بنى السلوك وغيرهم من أهل قرطبة ثم زاد فيه

فبلغه ستة عشر جزءا للعامّة ثم زاد فيه فبلغه عشرين جزءا لأمرير المؤمنين " (١٢) ولقد طبع الكتاب لأول مرة سنة (١٣٢٤هـ - ١٩٠٦م) بمطبعة بولاق ثم أعيد طبعه سنة (١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م) بدار الكتب المصرية وعن هاتين الطبعتين وخاصة الثانية أخذت باقى الطبعات المتداولة .

وتحتوى طبعة دار الكتب التى أعقدها البحث على قسمين منفصلين :

القسم الأول: ويحتوى على كتاب الأمالى فى جزئين

القسم الثانى: ويحتوى على ذيل الأمالى ثم النوادر ثم كتاب التنبيه على أوهام أبى على فى أماليه للبكرى.

وكتاب الأمالى فى جملة كتاب أندلسى الوضع ألف بعد الفراغ من المقصور والممدود وربما بدء إملاؤه فى أثناء تأليفه فى حياة الناصر وقبل أن يتولى الحكم الخلافة أى ما بين سنتى ثلاثمائة وثلاثين (٣٢٠هـ) وهى سنة دخوله قرطبة وسنة ثلاثمائة وخمسين (٣٥٠هـ) وهى سنة وفاة الناصر الذى رفع إليه الكتاب (١٣)

رواة الكتاب من تلاميذه:

لاشك فى أن الكتاب قد لاقى من الذىوع والرواج والاهتمام الشىء الكثير وأنه قد استطاع أن يؤثر لذلك تأثيرا واسعا فى الدراسات اللغوية والأدبية بالأندلس ،بدأ هذا التأثير مع جماعة من تلاميذ القالى الذين اعتنوا برواية الكتاب وقراءته وحفظه وعنه تمت رواية الكتاب فى سائر بلاد الأندلس وقد تثبت ابن خير من أن ثمانية عشر رجلا منهم أخذوا عنه الكتاب كاملا وهم (١٤):

- ١- أبو بكر محمد بن حسن الزبيدى
- ٢- أبو العاصى حكم بن منذر بن سعيد القاضى
- ٣- أبو القاسم أحمد بن أبان بن سيد
- ٤- أبو عثمان سعيد بن عثمان بن القزاز
- ٥- أبو العلى الحسن بن أيوب الفقيه الحداد
- ٦- أبو نصر هارون بن موسى بن صالح بن جندل
- ٧- أبو بكر محمد بن مروان بن زهر الإيادى

- ٨- أبو بكر عباس بن أصبح الحجازي
 - ٩- أبو عمر أحمد بن عبد العزيز بن أبي الحباب
 - ١٠- أبو عمر أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد الجسور
 - ١١- أبو القاسم أحمد بن محمد بن معارك العقيلي
 - ١٢- أبو عمر أحمد بن سعيد بن إبراهيم (المعروف بابن الهندي)
 - ١٣- أبو عبد الله حبيب بن أحمد الشطجيري
 - ١٤- أبو سعيد أحمد بن محمد بن سليمان الأصبحي
 - ١٥- إبراهيم بن عبد الرحمن التنيسي
 - ١٦- القاضي أبو محمد بن عبد الله بن ربيع بن بنوش التميمي
 - ١٧- القاضي أبو القاسم خلف بن غمرون
 - ١٨- القاضي أبو أيوب سليمان بن خلف بن غمرون
- وتستمر العناية بالكتاب وروايته بعد هذه الطبقة (من تلاميذ القالي) في
البيئة الأندلسية زمنا طويلا على يد عدد كبير من العلماء يصعب إحصاؤهم ومنهم:
- ١- أبو عبد الله محمد بن بهلول الكفيف (١٥)
 - ٢- مسعود بن علي بن مسعود الأديب الأنصاري الأندلسي (١٦)
 - ٣- أبو مروان حزب الله بن محمد بن علي بن عبد الرحمن الأذدي (١٧)
 - ٤- أبو جعفر أحمد بن علي بن محمد الأنصاري الأوسي (١٨)
 - ٥- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يربوع الجباني (١٩)
 - ٦- أبو العباس بن أبي عزفة (٢٠)
 - ٧- أبو الحسن سهل بن الحاج أبي عبد الله محمد بن سهل الأذدي الغرناطي (٢١)
 - ٨- أبو الحسن علي بن محمد بن علي الرعيني الأشبيلي (٢٢)
- شروح الأمالي وحواشيه:

ولعل قيمة كتاب الأمالي وأهميته (خاصة بالنسبة للأندلسيين) لا تقف
مظاهرها عند حدود حرصهم على تدارسه وعنايته بصحة روايته وضبطها وإنما تظهر

كذلك فى عكوفهم عليه عكوفاً أنتج لنا قائمة طويلة من الشروح والحواشى والطرر
ياتى فى مقدمتها :

١- التنبيه على أوهام أبى على فى أماليه (٢٣)

٢- اللآلى شرح أمالى القالى (وهذان الكتابان لأبى عبىء البكرى ت ٤٨٧هـ أو
٤٩٦هـ)

٣- نظام القرطين وضم أشعار السقطين لأبى العباس أحمد بن عبء الجليل التدميرى
(ت ٥٥٥هـ) جمع فيه أشعار الكامل للمبرد والنوادر لأبى على البغدادى كما
قال ابن الأبار (٢٤)

٤- شرح الأمالى لأبى اسحق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم المعروف بالأعلى
البطليوسى (ت ٦٣٧هـ)، ذكره لأبى الأبار (٢٥)

٥- مختصر الأمالى لأبى العباس أحمد بن عبء المنعم الشريشى (ت ٦١٩هـ) وقد
ذكره المقرئ وابن الأبار والرعىنى (٢٦)

٦- المواخى النادر فى فى الجمع بين اللآلى والنوادر لأبى عبء الله الرعىنى ؟
ذكره الرعىنى (٢٧)

٧- نكت الأمالى لأثير الدين أبى حيان محمد بن يوسف الغرناطى النحوى (ت
٧٤٥هـ) ذكره ابن شاكركتفى فى ترجمته لأبى حيان (٢٨)

بناء على هذا يتضح بجلاء مدى الأهمية التى تحيط كتاب الأمالى لأبى
على القالى ونشر فيما يأتى فى قراءة نموذج من هذا الكتاب .

نموذج من أمالى القالى

[مطلب حديث النبىين السبعة الذين هوت عليهم الصخرة وما قاله فيهم
أبوهم من شعر وشرح غريبة]

وحدثنا أبو بكر رحمه الله قال أخبرنا عبء الرحمن عن عمه قال أخبرنى
يونس قال: كان لرجل من بنى ضبة فى الجاهلية بنون سبعة فخرجوا باكلب لهم
يقتنصون فأووا إلى غار فسقطت عليهم صخرة فأتت عليهم جميعهم فلما استراث

أبوهم أخبارهم اقتفر آثارهم حتى انتهى إلى الغار فانقطع عنه الأثر فأيقن بالشر
فرجع وأشأ يقول:

أسبعة أطواد أسبعة أبحر	أسبعة آساد أسبعة أنجم
رزئتهم في ساعة جرعتهم	كنوس المنايا تحت صخر مرضم
فمن تك أيام الزمان حميدة	لديه فاني قد تعرقن أعظمي
بلغن نسيسي وارتشفن باللتى	وصليننى جمر الأسى المتضرم
أحين رمانى بالثمانين منكب	من الدهر منح في الفؤاد بأسهم
رزنت بأعضادي الذين بأيديهم	أنوء وأحمى حوزتى وأحتمى
فإن لم تذب نفسى عليهم صباة	فسوف أشوب دمعها بعد الدم

ثم لم يلبث بعدهم إلا يسيرا حتى مات كمدا.

قال أبو علي: أقتفر: اتبع، يقال: قفرت الأثر واقتفرته إذا اتبعته. ومرضم: منضد بعضه
على بعض، قال الأصمعي: يقال: بن فلان دار فرضم فيها الحجارة رضما وذلك إذا
نضد الحجارة بعضها على بعض ومنه قيل: رضم البعير بنفسه إذا رمى بها فلم يتحرك
وتعرقن: أخذن ما عليه من اللحم، يقال: عرقت العظم وتعرقته إذا أخذت ما عليه من
اللحم والنسيس: بقية النفس.

قال الشاعر: * فقد أودى إذا بلغ النسيس *

وارتشفن: امتصصن. والبلالة: الرطوبة.

وحدثنا أبو بكر رحمه الله تعالى قال حدثني أبو عثمان الأشنانداني قال
حدثني التوزي عن أبي عبيدة قال: لما مات حصين بن الحمام سمعوا صارخا يصيح
من جبل ويقول:

ألا ذهب الحلو الحلال الحلال	ومن عقده حزم وعزم ونائل
ومن قوله فصل إذا القوم أفحموا	تصيب مرادى قوله ما يحاول

فلما سمعه معية أخوه قال: هلك والله حصين وأنشأ يقول:

نعت حيا الأضياف في كل شتوة	ومدرة حرب إذ تخاف الزلازل
ومن لا ينادى بالضيمة جاره	إذا أسلم الجار الألف المواكل

فمن و بمن نستدفع الضيم بعده
وقد صممت فينا الخطوب النوازل
وحدثنا أبو بكر رحمه الله قال أخبرنا عبد الرحمن و أبو حاتم و
الأشناداني و الرياشي قالوا كلهم:

سمعنا الأصمعي يقول: كنت بالبادية فرأيت امرأة عند قبر وهي تبكي وتقول:
فمن للسؤال ومن للنوال
ومن للحماة ومن للكمأة
إذا قيل مات أبو مالك
فقد مات عز بنى آدم
قال: فملت إليها فمات لها: من هذا الذي مات هؤلاء الخلق كلهم بموته؟ فقالت:
أو ما تعرفه؟ قلت: اللهم لا فأقبلت ودمعتها تنحدر وإذا هي مقاء برشاء ثرماء فقالت:
فديتك! هذا أبو مالك الحجام ختن أبي منصور الحائك! فقلت: عليك لعنة الله! و
الله ما ظننت إلا أنه سيد من سادات العرب.

قال أبو علي: قريع الشول: فحلها، و القريع: الفحل من الرجال الشجاع. و المقاء:
الطويلة، و الأماق: الطويل، و المقق: الطول: و الثرماء: التي قد سقطت ثنيتها.
و أنشدنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال: أنشدنا عبد الرحمن عن عمه الأعرابي.
يقر بعيني أن أرى من مكانه
وأن أرد الماء الذي شربت به
وألصق أحشائي ببرد ترابه
قال: و أنشدني عبد الرحمن عن عمه:

أمس العين مامست يداها
لعل العين تبرأ من قذاها
يقول الناس ذو رمد معنى
و ما بالعين من رمد سواها
قال: و أنشدنا أبو بكر ولم يسم قائله و لا عزاه إلى أحد:
آل ليلى إن ضيفكم
ضائع في الحى مذ نزلاً
أمكنوه من ثنيتها لم
يرد خمراً و لا عسلاً

و أنشدنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال : أنشدنا أبو حاتم عن أبي زيد :

إن كان غرك إطراقى أبا حسن فالسيف يطرق حيناً قبل هزته
والحياة الصل لا تترك هداًته فكم سليم و موقوذ لنكرته

و أنشدنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال : أنشدنى عمى عن أبيه عن ي بن
الكلبي و أنشدنا أبو بكر ابن الأنبارى عن أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابي :

يا مريخا خير أخ نازعت در الحلمه
يا خير من أوقد للأضياف ناراً حجمه
يا جالب الخيل إلى الخيل تعادى أضمه
يا قائد الخيل و مجتنب الدلاص الدرمة
سيفك لا يشقى به إلا العسير السنمه
جاد على قبرك غيث من سماء رزمه
ينبت نوراً أرجا جرجاره والينمه

قال أبو على : الحلمة : طرف الثدي ، و الدرمة : اللينة التى لا حجم لها . و أضمة :
غضابى يقال : أضم عليه أضما ، أى غضب عليه ، قال الأخطل :

أضما و هزلهن رمحى رأسه أن قد أتيح لهن موت أحمر
و ضمد عليه يضمد ضمداً إذا هاج و غضب ، قال النابغة :

و من عصاك فعاقبه معاقبة تنهى الظلوم و لا تقعد على مضد
و حرب حرباً إذا هاج و غضب ، و حربته أنا فهو محرب ، قال الهذلى :

كان محرباً من أسد ترج ينازلهم لنابيه قبيب
و أضم و أتضم ، قال الشاعر :

و مؤتضم على لأن جدى يبد جدوده المتقدمينا

و يقال : أغد عليه إغدادا ، و أصله من غدة البعير فهو مغد ، و اسمغد فهو مسمغد إذا
انتفخ من الغضب و ورم ، و ضرم عليه ضرماً و أصله من اضطرام النار ، و احتدم عليه
إذا تحرق عليه و أصله من احتدام الحر ، و أسف عليه يأسف قال تعالى : (فلما
أسفونا انتقمنا منهم) و عبد عليه يعبد و حشم عليه يحشم حشماً . و هؤلاء حشم فلان

للذين يغضب لهم . و أحشمه أنا و حشمته . و حكى الأصمعى : ان ذلك لمما يحشم
بنى فلان ، آآ يغضبهم . و كت يكت و أصله من كتبت القدر . قال رؤبة :

وطامح النخوة مستكت طاطاً من شيطانه التعتى

صكى عرائين العدى وصتى

و معض يمعض معضاً . قال رؤبة :

وقد ترى ذا حاجة مؤتضاً ذا معض لولا يرد المعضا

قال أبو عمر : وازمهرا اذا غضب ، و أنشد :

أبصرت ثم جامعا قد هرا ونثر الجعبة وازمهرا

و كان مثل النار أو أحر

و يقال : قد قرطب اذا غضب فهو مقرطب ، و أنشد :

اذا رآنى قد أتيت قرطباً و جال جحاشة وطرطبا

و يقال : اصطخم ، قال ذو الرمة :

ظلت ثقلاً و ظل الجوب مصطخماً كأنه بتناهى الروض محجوم

و رزمة : مصوثة .

قال أبو على : ومما اخترته و قرأته على أبى بكر بن دريد :

قوم اذا اشتجر القنا جعلوا القلوب لها مسالك

اللابسين قلوبهم فوق الدروع لدفع ذلك

و حدثنا أبو بكر بن دريد قال حدثنا الرياشى عن ابن سلام عن غرير بن

طلحة بن عبد الله عن عمه هند بن عبد الله قال : بينا أنا مع أبى بسوق المدينة اذ

أقبل كثير ، فلما رأى أبى عدل إليه و تحدث معه ساعة ، فقال له أبى : هل قلت

بعدى شيئاً يا أبا صخر ؟ قال هند : فأقبل على وقال : احفظ هذه الأبيات ، و

أنشدنى :

و كا سلكا فى صعود من الهوى فلما توافينا ثبتت وزلت

و كا عقدنا عقدة الوصل بيننا فلما تواتقنا شددت و حلت

فواعجبا للقلب كيف اعترافه و للنفس لما و طنت كيف ذلت

و للعين أسراب اذا ما ذكرتها للقلب و سواس اذا العين ملت
وإني و تهيأني بعزة بعدما
لكالمرتجى ظل الغمامة كلما
فإن سأل الواشون فيم هجرتي
فمطلب حديث الغلام الذي سماه أهله حريقاً و ما وقع له مع الأصمعي و شرح
غريب ذلك : و حدثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه
قال : بينا أنا بحمي ضرية إذ وقف على غلام من أبي أسد في أطمار ما ظننته يجمع
بين كلمتين فقلت : ما اسمك ؟ فقال : حريقص : أما كفى أهلك أن يسموك حرقوصا
حتى حقروا اسمك ! فقال : إن السقط ليحرق الحرجة : فعجبت من جوابه ، فقلت :
أتشد شيئاً من أشعار قومك ؟ قال : نعم أنشدك لمرارنا : قلت : افعل : فقال :
سكنوا شيباً و الأحص و أصبحوا
و إذا يقال أوتيتهم لم يسبحوا
و إذا فلان مات عن أكرومة
نزلت منازلهم بنوا ذبيان
حتى تقيم الخيل سوق طعان
رقعوا معاوز فقره بفلان
قال : فكادت الأرض تسوخ بي لحسن إنشاده و جودة الشعر ، فأنشدت الرشيد هذه
الآبيات فقال :

و ددت يا أصمعي أن لو رأيت هذا الغلام فكنت أبلغه أعلى المراتب
قال أبو علي : السقط : ما يسقط من الزند إذا قدح . و قال أبو عبيدة : في سقط النار
وسقط الولد وسقط الرمل ثلاث لغات : الضم و الفتح و الكسر و زناد العرب من
خشب ، و أكثر ما يكون من المرخ و العفار ، و لذلك قال الأعشى :
زنادك خير زناد الملو
ك صادف منهن مرخ عفارا
إنما يؤخذ عود قدر سبر ويشقب في وسطه ثقب لا ينفذ و يؤخذ عود آخر قدر
ذراع فيحدد طرفه فيجعل ذلك المحدد في ذلك الثقب و قد وضعه رجل بين
رجليه فيديره و يقتله فيورى ناراً ، فالأعلى زند ، و الأسفل زنده . و الحرجة : الشجر
الكثير الملتف و جمعه حراج و أحراج ، قال العجاج :
عائن حياً كالحراج نعمه
يكون أقصى شله محر نجمه

يقول : عاين هذا الجيش الذى آتانا حيا : و يعنى بالحى قومه بنى سعد . و النعم :
الإبل . و أقصى : أبعد . و شله : طرده . و محرنجمه : مبركه حيث يجتمع بعضه إلى
بعض . و المعنى أن الناس إذا فوجئوا بالغارة طردوا إبلهم و قاموا هم يقاتلون ، فإن
انهزموا كانوا قد نجوا بها ؛ يقول : فهؤلاء من عزهم و منتعهم لا يطردونها . و لكن أن
يكون أقصى طردهم أن ينيخوها فى مبركها ثم يقاتلوا عنها . و المعادى : الثياب
الخلقان .

هوامش

- ١- راجع ترجمة القالى ، الزبيدى ، طبقات اللغويين والنحويين ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط٢، دار المعارف ١٩٨٤م ص ١٢١، ١٨٥، ١٨٨، ابن الفرضى . تاريخ العلم والعلماء والرواة للعلم بالأندلس ، تحقيق عزت العطار الحسينى . القاهرة ١٩٥٤م ج ١ ص ٨٣ والحميدى . جذوة المقتبس فى ذكر ولاية الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوى النباهة والشعر. تحقيق محمد بن تاويت الطبخى ، القاهرة ١٩٥٣م: ص ١٥٤ وابن خير الإشبلى . فهرسة ما رواه عن شيوخه ، ط٢ القاهرة- بيروت- بغداد ١٩٦٣م ص ٣٩٥. والضبى بغية الملتبس فى تاريخ رجال أهل الأندلس ، دار الكتاب العربى ١٩٦٧م ص ٢٥٦. وياقوت الحموى إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء) نشر مرجليوث ، ط القاهرة ١٩٨٣م ج ٧ ص ٢٥ ومعجم البلدان ، ط دار صادر بيروت ١٩٩٥م (قاليقلا) والقفطى ، إنباه الرواة على أنباه النحاة تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط١ دار الكتب المصرية ١٩٥٢م ج ١ ص ٢٠٤ وابن خلكان وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تحقيق إحسان عباس دار صادر بيروت ١٩٧٢م ج ١ ص ٢٢٦ والحافظ الذهبى ، العبر فى أخبار من عبر، تحقيق صلاح الدين المنجد ، الكويت ١٩٦٠م ج ٢ ص ٣٠٤، واليافعى ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ط١ حيدر أباد الدكن ١٣٢٨هـ: ج ٢ ص ٣٩٥ والفيروز آبادى، البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة تحقيق محمد المصرى ، الكويت ١٩٨٧م ص ٦٩ والسيوطى بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط عيسى البابى الحلبي القاهرة ١٩٦٥م: ج ١ ص ٤٥٣ والمفرى نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب تحقيق إحسان عباس ، ط دار صادر بيروت ١٩٨٧م: ج ٤ ص ٧٠-٧٤ وابن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب بيروت

- (د.ت): ١٨/٢، وعمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، دمشق ١٩٥٧م: ج ٢ ص ٢٨٦
- وكارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي ترجمة عبد
- الحليم النجار، ط ٥ دار المعارف ١٩٨٣م: ج ٢ ص ٢٧٧-٢٨٠
- ٢- راجع محمد مصطفى أبو شوارب أبو اليزيد، رواية الشعر وتفسيره قراءة في منهجية التراث العربي، الملتقى المصري للإبداع والتنمية ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م ص ١٣
- ٣- راجع ياقوت الحموي، معجم البلدان: (منا زجرد) أحمد كمال زكي، أمالي القالي، تراث الإنسانية، م ٥ ج ١ ص ٤٧
- ٤- راجع ياقوت الحموي معجم البلدان: (قالقلا) وهي تقع في الشمال الغربي من نواحي منازجرد وهذه المدينة هي التي انتسب إليها أبو علي.
- ٥- السابق: (الموصل) وسليمان صائغ، تاريخ الموصل ن المطبعة السلفية، مصر ١٩٢٣م ص ٥٢، ٥١
- ٦- راجع في ترجمته الحافظ الذهبي، العبر في أخبار من غبر: ١٣٤/٢ والياضي: مرآة الجنان ٢٤٩/٢ وابن العماد: شذرات الذهب: ٢٥٠/٢
- ٧- راجع ياقوت الحموي، معجم الأدباء: ٢٨/٧
- ٨- راجع المقرئ: نفح الطيب ٧٤/٤، الحميدى، جذوة المقتبس: ١٥٥
- ٩- ألبير حبيب مطلق، الحركة اللغوية في الأندلس: بيروت ١٩٦٧م ص ٢٠٣
- ١٠- راجع: المقرئ، نفح الطيب ٧٥/٤٢
- ١١- د. محمد مصطفى أبو شراب، رواية الشعر وتفسيره قراءة في منهجية التراث العربي ص ١٦ وما بعدها
- ١٢- ابن خير فهرسته ٣٢٥
- ١٣- د. محمد مصطفى أبو شراب، رواية الشعر وتفسيره قراءة في منهجية التراث العربي ص ١٩، ٢٠
- ١٤- ابن خير، فهرسته ص ٣٢٥، ٣٤٢

١٥- توفي سنة ٤٦٠ هـ . انظر في قيامه على تدريس النوادر والأمالى . ابن الأبار .
التكملة ١ / ٣٩٣

١٦- من وفيات القرن السادس الهجرى . أنظر في أخذ النوادر (الأمالى) عنه : ابن
الأبار التكملة : ٢ / ٧١٧

١٧ - توفي سنة ٥٨٥ هـ أنظر في وقوفه على النوادر (الأمالى) ابن الأبار التكملة ١
٢٨٢ /

١٨ - توفي حوالى سنة ٦٠٦ هـ . أنظر في مذكراته للأمالى . ابن الأبار . التكملة : ١
٩٩ / .

١٩ - توفي سنة ٦١٠ هـ . انظر في سماع النوادر (الأمالى) عليه ابن الأبار . التكملة
: ٢ / ٥٩٢ .

٢٠- توفي سنة ٦٣٨ هـ . انظر في قراءته النوادر (الأمالى) على شيخه أبى محمد
بن عبيد الله الحجرى ، وأبى القاسم عبد الرحمن ابن على بن عبد الرحمن
الجدامى - الرعينى ، برنامج شيوخ الرعينى ، تحقيق إبراهيم شبوح . دمشق
١٩٦٢م : ص ٤٤ ، ٤٥ .

٢١ - توفي سنة ٦٣٩ هـ . انظر في قراءته النوادر (الأمالى) على شيخه أبى عبد الله
بن حميد ، الرعينى ، برنامج شيوخه : ٦٠ .

٢٢ - توفي سنة ٦٦٦ هـ انظر في قراءته النوادر (الأمالى) على شيخه أبى بكر بن
محمد بن طلحة بن محمد بن حزم الأموى ، المصدر السابق : ٧٩ .

٢٣ - الكتابان مطبوعان ، صدر أولهما ملحقا بطبعة دار الكتب المصرية من كتاب
الأمالى ، و صدر الثانى بتحقيق عبد العزيز الميمنى الراجكوتى عام ١٩٣٦ م
عن دار الكتب المصرية .

٢٤ - انظر : ابن الأبار ، التكملة : ١ / ٥٦ .

٢٥ - انظر : ابن الأبار ، التكملة : ١ / ١٢٠

٢٦ - أنظر : المغزى ، نفح الطيب : ٢ / ٣١٦ ، وابن الأبار ، التكملة : ١ / ١١١
الرعينى ، معجم شيوخه : ٩٠ .

٢٧ - انظر العيني . المقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية . ط بولاق على هامش
خزانة الأدب : ١ / ٢٦ .

٢٨ - انظر ابن شاکر الکتبی . فوات الوفيات . تحقيق محمد محی الدین عبد
الحمید ، مصر ١٩٥١ م ج ٢ ص ٥٠١ .

٤- كتاب الكامل للمبرد (١٩٥ - ٢٨٤ هـ)

المبرد بكسر الراء المشددة وفتحها ، هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي . ولد في عهد الخليفة العباسي المأمون ما بين عامي ١٩٥ هـ و ٢٢٠ هـ و توفي في عهد المعتضد ما بين عامي ٢٨٤ هـ و ٢٨٦ هـ .

إن هذه البداية التي بدأنا بها ترجمة لحياة صاحب كتاب الكامل تنم على وجود اختلافات بين الرواة حول مولده و وفاته و اسمه ؛ كما يختلفون في نسبه و في سبب تسميته بالمبرد و هل المبرد بكسر الراء المشددة أم بفتحها ، و يسوقون الأخبار وراء هذه التسمية .

شيوخه :-

على الرغم من هذا الخلاف الشديد فإننا نستطيع بسهولة أن نقرر أنه كان من أهل البصرة بل من أئمة العلم فيها ، و يمكننا أيضاً إثبات عدد من مشايخه الذين تتلمذ على أيديهم :-

١ - أبو عثمان بكر بن محمد المازني (ت ٢٤٩ هـ)

٢ - أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت ٢٤٨ هـ)

ق الجرمي (ت ٢٢٥ هـ)

٣ - أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)

تتلمذ المبرد على هؤلاء الشيوخ في خير تلمذة حتى أصبح إمام أهل البصرة في النحو بعد وفاة أستاذه أبي عثمان المازني، ومن ثم أصبح له تلامذة كثيرون ذاع صيتهم بعد ذلك في النحو واللغة ، منهم الزجاج والصولي ولفطويه النحوي وابن السراج والأخفش الأصغر وغيرهم.

مصنفاته:

تعددت ثقافات المبرد ولم تقف عند حد النحو وإنما كان مثقفا موسوعيا فكان ذواقا للشعر حافظا الكثير منه كما كان فصيح اللسان بارع البيان وقد أنتجت هذه الثقافة عددا ضخما من الكتب ضاع كثير منها ولم يصلنا سوى أسمائها ونحاول فيما يأتي ذكر بعض هذه المصنفات:

أولا المصنفات الضائعة:

ذكر ابن النديم في فهرسته كثيرا من هذه الكتب الضائعة ومنها :

١- احتجاج القرآن

٢- آداب المجلس

٣- أسماء الدواهي عند العرب

٤- الإشتقاق

٥- إعراب القرآن

٦- البلاغة

٧- الخط والهجاء

٨- ضرورة الشعر

٩- طبقات النحويين البصريين وأخبارهم

ثانيا الكتب المنشورة:

١- الكامل

٢- الفاضل

٣- المقتضب

٤- المذكر والمؤنث

٥- شرح لأمية العرب

كتاب الكامل (١)

"أما الكامل فهو أشهر كتب المبرد وأجلها شأنًا ٠٠٠ والكتاب مجموعة من المختارات الأدبية يهتم من خلالها المبرد بشرح المشكلات اللغوية والنحوية التي تثيرها تلك النصوص وإلى جانب تلك المختارات الأدبية يضم الكامل مادة غزيرة في التاريخ واللغة والأدب والنحو قدم المبرد لكتاب "الكامل" بمقدمة قصيرة توضح الغرض من تأليفه الكتاب فيقول: هذا الكتاب ألفناه بجمع ضروبا من الآداب ما بين كلام منشور وشعر مرصوف ومثل سائر وموعظة بالغة واختيار من خطبة شريفة وكرسالة

بليغة . والنية أن نفسر كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب أو معنى مستغلق وأن نشرح ما يعرض فيه من الإعراب شرحا شافيا حتى يكون الكتاب بنفسه مكتفيا عن أن يرجع إلى أحد في تفسيره مستغنيا "

وهكذا يتضح منذ المقدمة اتجاه المؤلف في حرصه على الإحاطة من كل شئ بطرف فالمؤلف موسوعي الثقافة وكذلك كتابه.

وبعد هذه المقدمة القصيرة نقرأ في الكتاب أحاديث متفرقة لا صلة بينها فنرى كلمة لأبي بكر في مرضه وعهده بالخلافة لعمر وأول خطبة خطبها عمر ورسالة عمر في القضاء لأبي موسى وكتاب عثمان إلى علي بن أبي طالب حين أحيط به ثم معاتبته عثمان عليا وكلمة علي حين بلغه أن خيلا لمعاوية وردت الأنباء وقتلوا عامله حسان بن حسان.

وبعد ذلك تبدأ: أبواب الكتاب وهي أبواب لا ينتظمها غرض واحد وليذا عنونت بكلمة " باب " فقط وذلك باستثناء أربعة واضح تحدد لأبوابها غرضيا في عنوانها فالباب الثامن والأربعون " باب من أخبار الخوارج والباب الخمسون هذا باب النسب من المضاف والباب الواحد والخمسون باب في اختصار الخطب والتحميد والمواعظ " والباب الثالث والخمسون " باب ذكر الأذواء من اليمين في الإسلام " .

وقد عرض المبرد في كتابه لعدد من المسائل النحوية التي كانت مثار خلاف بين البصريين والكوفيين كما عرض لبعض القضايا النقدية التي شغلت البلاغيين في عصره كقضية اللفظ والمعنى وقضية القديم والجديد وقضية السرقات الشعرية إلى جانب ما ضمنه كتابه من حديث عن أدب الخوارج ورسائلهم التي تبادلوها في خلال حروبهم مع الخلفاء حتى أنه يعد مرجعا مهما في هذا الموضوع.

ويتفق الباحثون الآن على أن كتاب " الكامل " الذي أمانا لم يؤلفه المبرد وحده وإنما شاركه فيه تلميذه الأخفش الذي روى عنه الكتاب فكثيرا ما نطالع في الكتاب تعقيبات وشروح مصدرة بعبارة قال أبو الحسن وهو أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش (ت ٣١٥هـ) أما ما ذكره المبرد فنراه مصدرا بعبارة " قال أبو العباس ط.

وعلى كل فكتاب الكامل للمبرد يعد مصدرا أساسيا للتراث العربى باعترافى القدماء واهتمامهم واهتمام المحدثين كذلك فإن ابن خلدون فى مقدمته يعده ضمن أربعة كتب أساسية فى البحث [أدب الكتاب لأبن قتيبة - الكامل للمبرد - البيان والتبيين للجاحظ - النوادر لأبى القالى] كما اهتم بشرحه ابن السيد البطليوسى ٤٤٤ هـ وهشام بن أحمد الوقش ٤٨٩ هـ ومحمد بن يوسف السرقسطى ٥٣٨ هـ.

وفى العصر الحديث شرحه الشيخ سيد بن على المرففى فى ثمانية أجزاء وأسماء " رغبة الآمل فى كتاب الكامل " وطبع هذا الكتاب فى مصر ١٣٤٦ هـ (١٩٢٧ م).

ولأهمية هذا الكتاب فى البحث والدراسة نشر أكثر من نشره فى مصر والخارج فطبع فى ألمانيا فى ليبسك سنة ١٨٦٤ م مع مقدمة وفهارس وطبع فى سنة ١٢٨٦ بالمطبعة العامة بالقاهرة وفى سنة ١٣٠٨ هـ بالمطبعة الخيرية بالقاهرة بالمطبعة الخيرية بالقاهرة وفى سنة ١٢٨٦ هـ بالأستانة وأعيد طبعه فى ليبسك ١٨٨١ م وفى عام ١٨٩٢ وفى عام ١٣٢٣ هـ طبع فى مطبعة التقدم بالقاهرة وفى ١٣٥٥ طبع فى مصر فى مطبعة الحلبي بتحقيق الدكتور زكى مبارك وأحمد شاکر ثم طبعته المطبعة التجارية الكبرى بالقاهرة عام ١٩٦٣.

نموذج من كتاب الكامل للمبرد

"أول خطبة خطبها عمر بن الخطاب"

و مما يؤثر من هذه الآداب و يقدم قول عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى أول خطبة خطبها - حدثنا العتبى قال : لم أر أقل منها فى اللفظ ، و لا أكثر فى المعنى - حمد الله و أثنى عليه و هو أهله ، و صلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال :

أيها الناس ، إنه والله ما فيكم أحد أقوى عندى من الضعيف حتى آخذ الحق له ، و لا أضعف عندى من القوى حتى آخذ الحق منه . ثم نزل . وإنما حسن هذا القول مع ما يستحقه من قبل الإختیار ، بما عضده به من الفعل المشاكل له :

[قال أبو الحسن : قد روينا هذه الخطبة التي عزاها إلى عمر بن الخطاب عن أبي بكر رضي الله عنهما . وهو الصحيح] (١)

[رسالة عمر في القضاء إلى أبي موسى الأشعري]

قال أبو العباس : ومن ذلك رسالته في القضاء إلى أبي موسى الأشعري : وهي التي جمع فيها جمل الأحكام ، واختصرها بأجود الكلام وجعل الناس بعده يتخذونها إماما ولا يجد محق عنها معدلا ولا ظالم عن حدودها .

بسم الله الرحمن الرحيم: من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس. سلام عليك، أما بعد، فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم إذا أدلى إليك فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له. آس بين الناس بوجهك (١) وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يئس ضعيف من عدلك. البينة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا. لا يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك، أن ترجع إلى الحق فإن الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل. الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة ثم اعرف الاشباه والأمثال فقس الأمور عند ذلك واعمد إلى أقربها إلى الله وأشبهها بالحق واجعل لمن ادعى حقا غائبا أو بينة أمدا ينتهي إليه فإن أحضر بينته أخذت له بحقه وإلا استحللت عليه القضية فإنه أنفى للشك وأجلى للعمى. المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلودا في حد ومجربا عليه شهادة زور أو ظنينا في ولاء أو نسب فإن الله تولى منكم السرائر ودرا بالبينات والأيمان وإياك والغلق الضجر والتأذى بالخصوم والتنكر عند الخصومات فإن الحق في مواطن الحق ليعظم (٢) الله به الأجر ويحسن به الذخر فمن صحت به نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه الله فما ظنوك بثواب غير الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام .

قال أبو العباس: قوله: " آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك "، يقول: سو بينهم وتقديره: اجعل بعضهم أسوة بعض والتأسي من ذا أن يرى ذو البلاء من به مثل

بلأنه فيكون قد ساواه فيه فيسكن ذلك من وجده، قالت الخنساء: فلو لا كثرة
الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي

وما يكون مثل أخى ولكن
أعزى النفس عنه بالتأسى
يذكرني طلوع الشمس صخرا
وأذكره لكل غروب شمس
تقول: أذكره في أول النهار للغارة وفي آخره للضيغان وتمثل مصعب بن الزبير يوم
قتل بهذا البيت:

وإن الألى بالطف من آل هاشم
تأسوا فنسوا للكرام التأسيا (١)
وقوله: "حتى لا يطمع شريف في حيفك" يقول: في ميلك معه لشرفه وقوله: "فيما
تلجلج في صدرك" يقول تردد وأصل ذلك المضغة والأكلة يرددها الرجل في فيه
فلا تزال تتردد إلى أن يسيغها أو يقذفها والكلمة يرددها الرجل إلى أن يصلها
بأخرى، يقال للعيى: لجلاج وقد يكون من الآفة تعترى اللسان: قال زهير:

تلجلج مضغة فيها انيض
أصلت فهي تحت الكشح داء
وقوله: "أنيض" أى لم تنضج (١) ومن أمثال العرب: الحق أبلج والباطل لجلاج؛ أى
يتردد فيه صاحبه فلا يصيب مخرجا. وقوله: "أو ظنينا في ولاء أو نسب" فهو المتهم
وأصله "مظنون" وهى ظننت التى تتعدى إلى مفعول واحد، تقول: ظننت يزيد
وظننت زيدا أى اتهمت ومن ذلك قول الشاعر - أحسبه عبد الرحمن بن حسان -:

فلا ويمين الله ما عن جناية
هجرت ولكن الظنين ظنين (٢)
وفى بعض المصاحف: [وما هو على الغيب بظنين] (٣) وإنما عمر رضى الله
عنه ذلك لما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم: "ملعون ملعون من انتمى إلى غير
أبيه أو ادعى على غير مواليه" فلما كانت معه الإقامة على هذا لم يره لشهادة موضعا.
وقوله: "ودراً بالبينات والأيمان" إنما هو دفع من ذلك قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم: "ادرءوا الحدود بالشبهات" وقال الله عز وجل: [قل فادرءوا عن أنفسكم
الموت إن كنتم صادقين] (٤) وقال: [فإن دارأتم فيها] أى تدافعتم. وأما قوله: "وإياك
والخلق والضجر" فإنه ضيق الصدر وقلة الصبر يقال فى سوء الخلق: رجل غلق

وأصل ذلك من قولهم (١): غلق الرهن أى لم يوجد له تخلص وأغلقت الباب من هذا، قال زهير:

وفارقتك بهن لا فكاك فيه يوم الوداع فامسى الرهن قد غلقا
وقوله: "ومن تخلق للناس" يقول: أظهر للناس فى خلقه خلاف نيته وقوله: "تخلق"
يريد أظهر (٢) مثل تجمل يريد أظهر جمالا وتصنع وكذلك تجبر إنما تأويله الإظهار
أى أظهر جبرية وإن شئت جبروتا وإن شئت جبروتى [وإن شئت جبروة] (٣) ومن
كلام العرب على هذا الوزن: رهبوتى خير لك من رحموتى : أى (٤) ترهب خير لك
من أن ترحم (٤) قال أبو العباس وأنشدونا عن ابى زيد (٥):

يا أيها المتحلى غير شيمته إن التخلق يأتى دونه الخلق (٦)
ولا يؤاتيك فيما ناب من حدث غلا أخو ثقة فانظر بمن تشق
قال : وأنشدتنى أم الهيثم الكلابية:
ومن يتخذ خيما سوى خيم نفسه يدعه وينتلبه على النفس خيمها (١)
وقال ذو الإصبع العدوانى (٢):
كل امرئ راجع يوما لشيمته وإن تمتع أخلاقا إلى حين
وأما قوله: "ثواب" فاشتقاقه من ثاب يثوب إذا رجع وتأويله ما يثوب إليك من
مكافأة الله وفضله.

هوامش

١ - راجع ابن الأنباري (أبو البركات عبد الرحمن بن محمد . نزهة الالباء في طبقات الأدباء ص ٢٧٩ ابن النديم (محمد بن اسحاق) الفيرست ص ٥٩ إبراهيم الإيباري .

الكامل للمبرد (دراسة بمجلة تراث الإنسانية - المجلد الثالث - العدد ١)
أبو الطيب ، عبد الواحد بن علي : مراتب النحويين .
و ابن خلكان ، وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٩٥ .

الفصل الرابع .

مصادر الشعر العربي القديم

لقد ارتحل الشعر العربي القديم عبر تاريخه رحلات عديدة فقد كانت رحلته الأولى من الجاهلية حتى مطلع القرن الثاني الهجري رحلة شفوية على ألسنة الرواة مما عرضه للضياع أحيانا والوضع أحيانا أخرى وليس معنى هذا أنه لم يكتب مطلقا بل إننا نستطيع الجزم بأن شعرنا العربي القديم قد كتب منذ العصر الجاهلي في صحائف متفرقة أو في دواوين مجموعة وقد اعتمد علماء الطبقة الأولى من الرواة على هذه المدونات وإنهم قد اعتمدوها مصدرا من مصادر تدوينهم لهذه الدواوين التي رواها عنهم تلاميذهم (١).

ونحاول فيما يأتي الإشارة إلى أهم مصادر الشعر القديم المكتوبة من دواوين مفردة وكتب الاختيارات الشعرية العامة ودواوين جمعت شعر القبائل... إلخ.

أولا الدواوين المفردة:

من كتب الشعر التي عني العلماء بجمعها وشرحها وتحقيقها ونشرها وطباعتها تلك الدواوين التي جمعت بين دفتيها شعر شاعر بعينه مثل امرئ القيس وديوان زهير بن أبي سلمى وديوان عنتره وديوان حسان بن ثابت وغيرها .

ديوان امرئ القيس:

تعددت روايات هذا الديوان وكثرت نسخه، ولكنها في معظمها ترجع إلى أصليين وهما رواية الأصمعي البصري ورواية المفضل الكوفي وتجدر الإشارة إلى أن ما جاء في بعض النسخ من القصائد الزائدة على هاتين الروایتين مما جمعه بعض الجامعين فقليل جدا منها مروي عن أبي عمرو الشيباني أما الباقي فقد نص كثير منه بأنه مخول لامرئ القيس وأن صحة نسبته إلى فلان أو فلان من الشعراء وقد أطلعنا الأصمعي نفسه على مصادره التي تلقى عنها ديوان امرئ القيس وذلك أن أبا حاتم قال: " قال الأصمعي: كل شيء في أيدينا من شعر امرئ فهو عن حماد الرواية إلا نتفا سمعتها من الأعراب وأبي عمرو بن العلاء " (٢)

ومن الثابت أن الأصمعي أخذ روايتي حماد وأبى عمرو فنقدهما ونقحهما وكان نتيجة ما قام به الأصمعي من نقد وتحقيق ونخل وتمحيص لما استقاه من شعر امرئ القيس أن جاءت روايته لديوانه في سبع وعشرين قصيدة ومقطعة فقط وهي أقل الروايات الموجودة كافة.

أما الفضل الضبي فيبدو كذلك روايته متصلة بالمدونات التي وصلت إليه من العصور السابقة وستجد هناك أن الفضل قد اختار قصائده من الدواوين المدونة واستخرجها من الكتب التي كانت في مكتبته وأن كان يعوزنا النص الصريح على ذلك في روايته لديوان امرئ القيس ذاته إلا أننا نحمل هذا على ذلك.

ومع أن الكوفيين عامة كانوا أكثر توسعا في المصادر وأكثر تساهلا وتجاوزا في قبول الروايات غير أن المفضل بن محمد كان يأخذ نفسه بمثل المنهج البصري من التضييق والتحري ومن أجل هذا ودقة البصريون أنفسهم وأخذوا عنه وكان من نتيجة تضييقه وتحريه أن جاءت روايته لديوان امرئ القيس في أربعين قصيدة ومقطعة وهي أكثر من رواية الأصمعي ولكنها تقل كثيرا عما جاء النسخ التي جمعت ديوان امرئ القيس المختلفة - وأكثرها روايات كوفية - مثل نسخة السكري ونسخة النحاس .

وإننا في نهاية هذا العرض حول روايتي الأصمعي والمفضل نستطيع إجمال بعض الملاحظات أهمها :

١ - إن المفضل الكوفي والأصمعي البصري قد اتفقا معا على رواية عشرين قصيدة ومقطعة لامرئ القيس .

٢ - نجد أن هذه القصائد العشرين التي اتفق على روايتها المفضل والأصمعي قد برت من طعن الرواة الآخرين وأن الإجماع بذلك منعقد على صحتها .

ثانيا دواوين القبائل:

لقد كثرت هذه الكتب التي تجمع شعر القبائل كثرة هائلة، وقد شاع ذكرها في كتب الفهارس (٣) إذ ذكر الأعدى ستين ديوانا من دواوين القبائل ومنها: أشعار الأزرد، وكتاب باهلة، وحمير، وبنى سليم، وبنى هاشم وغيرها .

ولم ينسب الأمدى شيئا من هذه الدواوين إلى جامع أو صانع من الرواة العلماء بل أرسلها هكذا غفلا إلا ديوانين ما منها، الأول: أشعار بني تغلب والثاني أشعار الرباب (٤).

أما أبو الفرج اسحق النديم (المتوفى سنة ٣٨٥) فقد ذكر في فهرسته ثمانية وعشرين ديوانا من دواوين القبائل وكلها منسوبة إلى صانعها وهو في أكثرها أبو سعيد السكري ما عدا ديوانا واحدا منها نسبة إلى ابن الكلبى ومنها أشعار بني أسد وأشجع وبني حنيفة وبني ربيعة وبنو وطى وبني عدى وغيرها .

ومع كل هذا الجهد الخصب الذى بذله كثير من العلماء الرواة فى جمع أشعار القبائل مع كثرت الدواوين التى ذكرت المصادر أن هؤلاء العلماء قد صنعوها فقد قال بن قتبة: "والشعراء المعروفون بالشعر عند عشائريهم وقبائلهم فى الجاهلية والإسلام أكثر من أن يحيط بهم محيط أو يقف من وراءهم عدد واقف ولو أنفد عمره فى التنقيب عنهم واستفرغ مجهوده فى البحث والسؤال ولا أحسب أحدا من علمائنا استغرق شعر قبيلة حتى لم يفته من تلك القبيلة شاعر إلا عرقه ولا قصيده إلا رواها" (٥)

وعلى الرغم من هذه الكثرة التى لم يحصها الرواة فإننا لا نجد من ذلك كله سوى أثر واحد باق من بين هذه الأشعار كلها التى جمعت للقبائل ؛ أعنى بهذا الأثر الوحيد شعر الهزليين فى حين ان الأمدى عندما ذكر لنا ستين ديوانا أقر أنه رآها جميعا لذا صدق أبو عمرو بن العلاء: " ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم واقرا لجاءكم علم وشعر كثير" (٦)

أما ديوان هذيل سالت فقد وصلنا ناقصا إذ لم يجمع كل شعراء هذيل كما لم يذكر جميع شعرهم ويؤكد هذا ما يأتى:

١ - عندما سئل حسان بن ثابت عن أشعر الشعراء قال: هذيل فيهم نيف وثلاثون شاعرا أو نحو ذلك (٧).

ومعنى هذا ان شعراء هذيل كانوا يقاربون الأربعين شاعرا ومعنى ما قاله حسان أنه يسمى كل من قال بيتا أو بيتين شاعرا، وهذا يعنى أن شعرهم لم يصلنا

كاملاً وقد يستبعد حسان حسا هؤلاء المقلين من بين الشعراء وهذا يعنى أن بعض الشعراء من هذيل لم يصلنا شئ من شعرهم بأثره.

٢- روى عن الإمام الشافعى أنه كان يحفظ عشرة آلاف بيت من شعر هذيل بإعرابها و غريبها ومعانيها (٨) والذى من بين أيدينا من هذا الشعر فى أطول رواياته لا يكاد يبلغ ثلاثة آلاف بيت.

٣- إن بعض العلماء قد استدركوا ما فات السكرى ذكره من شعر هذيل ومنهم أبو الفتح عثمان بن جنى المتوفى سنة ٣٩٢هـ الذى ألف كتاب التمام فى تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد الحسن بن الحسين السكرى رحمه الله وحجمه خمسمائة ورقة بل يزيد على ذلك (٩).

طبقات ديوان الهذليين:

طبع ديوان الهذليين طبعتين إحداهما فى أوروبا والثانية فى دار الكتب:

(أ) الطبعة الأوربية :

١- شرح أشعار الهذليين صنعة أبى سعيد الحسن بن الحسين السكرى طبعن فى لندن سنة ١٨٥٤م

٢- أشعار الهذليين طبعت فى برلين سنة ١٨٨٤م.

٣- ديوان أبى ذؤيب حقه المستشرق يوسف هل وطبعه سنة ١٩٢٦م.

٤- أشعار ساعدة بن جؤية وأبى خراش والمتنخل وأسامة بن الحارث نشرها كذلك يوسف هل وطبعها سنة ١٩٢٢م.

(ب) طبعة دار الكتب:

وأما طبعة دار الكتاب فماخوذة من نسخة خطية محفوظة فى الدار وهذه النسخة مختلطة متداخلة وشرحها مختصر موجز.

ثالثا كتب المختارات الشعرية

لقد وصلنا كثير من تلك الكتب التى جمعت أشعار العرب غير مقيدة بشاعر بعينه ولا قبيلة بعينها عن ذلك ما يأتى:

١ - المفضليات:

إن جامع هذا الكتاب هو المفضل بن محمد الضبي راس علماء الكوفة في عصره (١٠) .

والمفضليات أقدم مجموعة شعرية وصلتنا إذ كان أول من صنع ذلك هو المفضل الضبي . اللهم إلا ما كان من أمر المعلقات والمفضليات تجمع بين دفتيها ستا وعشرين ومائة قصيدة (١٢٦) أضيف إليها أربع قصائد وجدت في إحدى النسخ لسبعة وستين شاعرا منهم ستة شعراء إسلاميون وأربعة عشر مخضرمون والباقيون وهم سبعة وأربعون شاعرا جاهليون لم يدركوا الإسلام .

على الرغم من أن كثير من تلاميذ المفضل رووا عنه قصائد المفضليات فوقع فيها اضطراب كبير فإننا نستطيع التأكيد على أن أفضل هذه الروايات وأصحها هي التي رواها أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابي تلميذ المفضل وربيه وقد قال ابن النديم في ذلك: " هي مائة وثمانية وعشرون قصيدة وقد تزيد وتنقص وتتقدم القصائد وتتأخر بحسب الرواية عنه والصحيحة التي رواها عنه بن الأعرابي " (١١) ولم يكن المفضل الضبي بارعا في شرح الشعر ولا ضالعا في علم النحو ولا عارفا بالغريب (١٢) لذا لم يشرح المفضل مختاراته بل اكتفى بمجرد روايتها وأما ما على المفضليات من شرح إنما صنعه أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري (المتوفى سنة ٣٠٤) وقد أخذها إملاء مجلسا مجلسا عن أبي عكرمة عامر بن عمران الصبي (المتوفى سنة ٢٥٠) وأخذها أبو عكرمة عن ابن الأعرابي (المتوفى سنة ٢٣٢) ولم يكتف أبو محمد بن الأنباري بذلك وإنما كان يرجع إلى علماء آخرين مثل : أبو عمرو بندار الكوفي وأبي بكر العبدى وأبي عبد الله محمد بن رستم وأبي الحسن بن علي بن سنان الطوسي فيسألهم عن الشيء بعد الشيء ثم يعرضها بعد ذلك على أبي جعفر أحمد بن عبيد بن ناصح (المتوفى سنة ٢٧٣) ثم يقرأها تلاوته حتى تتم حلقة الرواية دون انقطاع (١٣). ويقال إن المفضليات أمليت على الأمير العباسي محمد بن أبي جعفر المنصور الذي أصبح فيما بعد الخليفة المهدي أملاها عليه المفضل لضبي آخذا بنصيحة المنصور (١٤).

شروح المفضليات وطباعتها:

لقد تعددت شروح المفضليات وطباعتها المحققة على النحو الآتى:

- ١- شرح الأنبارى وقد سبق الحديث عنه
- ٢- شرح ابن النحاس وهو أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحوى المصرى
ت ٢٣٨ هـ
- ٣- شرح أبى على المرزوقى (ت ٤٢١)
- ٤- شرح أبى زكريا يحيى التبريزى (ت ٥٠٢)
- ٥- شرح أبى الفضل الميدانى (ت ٥١٨)

أما بالنسبة لطبعات الكتاب فقد طبع أكثر من مرة على النحو الآتى :

- ١- طبع بمصر لأول مرة سنة ١٢٢٤ هـ بتعليق أبى بكر بن عمر داغستانى المدنى
طبعة السندوبى سنة ١٢٤٥ هـ
 - ٢- طبعة دار المعارف بتحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون
- ### ٢- الأصمعيات:

الأصمعيات من المجموعات الشعرية ذات الأهمية الخاصة ، وتنسب إلى جامعها إبنى سعيد عبد الملك بن قريب المشهور بالأصعى (١٥) وقد كان الأصمعى راوية بصريا بعكس المفضل الكوفى ومع هذا حدث تداخل بين كل من المجموعتين كما أشار إلى ذلك الأستاذان شاكر وهارون فى مقدمة الطبعة الأخيرة للمفضليات ومقدمة الطبعة الخامسة للأصمعيات صدرت سنة ١٩٧٩ كما يذكر المحققان.

وتحوى الأصمعيات اثنتين وتسعين قصيدة ومقطعة لواحد وسبعين شاعرا منهم ستة شعراء إسلاميون وأربعة عشر شاعرا مخضرمون وأربعة وأربعون جاهليون وسبعة مجهولون ليست لهم تراجم .

إن هذا الإحصاء الذى أوردناه يأتى طبقا للطبعة المصرية بتحقيق الأستاذين عبد السلام هارون وأحمد محمد شاكر وأما الطبعة الاوربية بتحقيق وإيم

بن الورد فليس فيها إلا سبع وسبعون قصيدة ومقطعة وآخر ما نقوله عن الأصمعيات أن
الاثنين وتسعين قصيدة ومقطعة تضم تسعة

وثلاثين وأربعمائة وألف بيت (١٤٣٩) في حين أن المفضليات التي تجمع
ثلاثين ومائة قصيدة (١٣٠) تضم أربعة وستين وستمائة وألف بيت (٢٦٦٤).

٣ - جمهرة أشعار العرب: -

إن مؤلف هذا الكتاب وجامع أشعاره هو أبو زيد محمد بن أبي الخطاب
القرشي ، لكنه راوية مغمور لا يكاد الدارسون يقعون له على ترجمة في المصادر
المختلفة ، و كان أول من أورد له ذكراً هو ابن رشيق في عمدته (١٦) ثم اعتمد
البغدادى و السيوطى على ما ذكره ابن رشيق فى أغلب الظن (١٧) ، ويرجح
المحدثون من الباحثين أنه كان من رجال القرن الثالث أو الرابع الهجرى على
إختلاف فيما بينهم ، وقد وردت فى الجمهرة - لتأخر تأليفها - ما يرد فيما سبقها من
المجموعات الشعرية الأخرى .

طبعتها: -

طبع هذا الكتاب ثلاث مرات وكلها من أصل واحد: -

١ - طبعة بولاق سنة ١٣١١ هـ .

٢ - طبعة المطبعة الخيرية سنة ١٣٣١ هـ .

٣ - طبعة المطبعة التجارية .

منهج أبى زيد فى الجمهرة: -

١ - بدأ كتابه بمقدمة طويلة نسب فيها شعراً لأدم وإبليس و الشياطين مما يشير إلى
تأصله بسيرة بن إسحق ولسنا فى حاجة لإثبات خطأ هذا الفعل .
و ذكر أخبار لبعض شعراء الجاهلية و بعض الأعراب و بعض ملوك بنى أمية و ذلك فى
فصول قصيرة .

٢ - قسم القصائد المختارة إلى سبعة أقسام فى كل قسم سبع قصائد و بذلك يبلغ
مجموع قصائد الجمهرة (٤٩) تسعاً و أربعون قصيدة .

٣ - أطلق أبو زيد على مجموعة من القصائد تمثل طبقة من هذه الطبقات اسماً خاصاً : فالطبقة الأولى لأصحاب المعلقات ؛ والثانية لأصحاب المجمعرات ، و الثالثة لأصحاب المنتقيات ، و الرابعة لأصحاب المذهبات ؛ و الطبقة الخامسة لأصحاب المراثي ، و الطبقة السادسة لأصحاب المشوبات . و هي التي شأبها الكفر و الإسلام ، و أصحابها المخضرمون . و السابعة لأصحاب الملتحقات و هي الملتحمة في نظمها .

٤ - اختلف منهجه . فهو على مدار الكتاب ينتقى قصائده على أساس الجودة إلا في موضع واحد الذي خصه على أساس الموضوع لشراء المراثي ، و أهمل من بينهم الخنساء .

على هذا الأساس لا يستطيع الدارسون إغفال ما لهذا الكتاب من أهمية كبرى في حفظ التراث الشعري و تصوير أحوال الشعراء على إختلاف مشاربهم و تصويرهم العصر الذي عاشوا فيه (١٨) .

٥ - حماسة أبي تمام :-

تعددت كتب هذا النوع من المجموعات الشعرية و كثر جامعوها ؛ و منها حماسة البحري ، و حماسة بن الشجري . و حماسة الخالدين التي تعرف أيضاً بالأشباه النظائر ، و الحماسة البصرية التي جمعها صدر الدين ابن أبي الفرج بن الحسين البصري (ت ٦٥٩ هـ) و الحماسة المغربية لجامعها يوسف بن محمد البياس التونسي (ت ٦٥٢ هـ)

و تأتي حماسة أبي تمام في مقدمة هذه المجموعات و هي من أشهرها ، و صاحبها هو الشاعر أبو تمام حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٢١ هـ)

و قد بنى أبو تمام ديوان الحماسة و هو أول الأبواب و أكبرها و به سميت المجموعة كلها ، و باب للمراثي ، و باب للأدب و يقصد به تهذيب السلوك و حسن التربية ، و باب للنسب ، و باب للهجاء ، و باب للأضياف و المديح ، و باب للصفات ، و باب للسير و النعاس ، و باب للملح ، و باب لذمة النساء . ليس لحماسة أبي تمام رواية أخذ هو بها ممن سبفه و لا رواية رواها عنه تلاميذه . و إنما نقلها أبو تمام من الكتب

والمدونات ، لذا ظل ديوان الحماسة مطوياً زمناً طويلاً إلى أن أتيح له أن ينشر و يظهر بعد وفاة أبي تمام (١٩) .

وقد طبعت حماسة أبو تمام عدة مرات منفردة ، و مرات أخرى بشروحيها على النحو الآتي : -

١ - طبعت بشرح التبريزي أول مرة مصحوبة بترجمة إلى اللغة اللاتينية في أوروبا بعناية المستشرق الألماني فرايتاج في منتصف القرن التاسع عشر.

٢ - طبعت مع الشرح التبريزي في مطبعة بولاق بمصر في أربعة أجزاء سنة ١٢٦ هـ .

٣ - طبعت بشرح المرزوقي بمصر في مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر سنة ١٩٥١ م بتحقيق الأستاذين / أحمد أمين ، وعبد السلام هارون .

هذا و لا يسعنا في نهاية هذا الفصل إلا أن نشير إلى أن ما ذكرناه لا يمثل سوى قطرة من خضم عظيم ذخر بلألى البيان و جواهر المعاني من شعر العرب الموروث .

هوامش

- ١ - د. ناصر الدين الأسد ، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية . ط ٥ . دار المعارف ١٩٧٨ م ص ٤٨٢ وما بعدها وقد تتبع الدكتور / ناصر الدين الأسد في هذا الكتاب القيم مصادر الشعر الجاهلي ودرسها دراسة مستفيضة واعية .
- ٢ - مراتب النحويين ، ورقة ١١٦ - ١١٧ ، والمزهر ٢ : ٤٠٦ .
- ٣ - ابن النديم الفهرست ، والامدي المؤتلف والمختلف .
- ٤ - السابق ص ٨٣ ، ٢٢
- ٥ - ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ١ : ٤ .
- ٦ - طبقات الشعراء ص ٢٣
- ٧ - ديوان الهذليين . ط دار الكتب ٢ : ٢٨ .
- ٨ - ابن حجر : توالي التأسيس بمعالي ابن ادريس ، المطبعة العامة ببولاق سنة ١٣٠١ ، ص ٥٩ .
- ٩ - ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ص ١٢ ، ١٠٩ .
- ١٠ - راجع ترجمة المفضل الضبي أبي العباس المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر بن ضبه ، في ابن قتيبة ، المعارف ، تحقيق د. ثروت عكاشة ، ط ٦ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٣ م ص ٥٤٥ ، الزبيدي . طبقات النحويين و اللغويين ص ١٩٣ ، ابن النديم . الفهرست ص ١٠٢ ، السيوطي . بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ص ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، كارل بروكلمان . تاريخ الأدب العربي ص ٢٠١ ، القفطي . إنباه الرواة على أنباء النحاه ص ١١٦ ، ابن الأنباري . نزهة الألباء ص ٦٧ ، ٦٩ .
- ١١ - ابن النديم الفهرست ص ١٠٢ .
- ١٢ - راجع أبو الطيب اللغوي - مراتب النحويين ص ١١٤ ، ١١٥ .

١٣- د. ناصر الدين الأسد . مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، ص ٥٧٤ وما بعدها .

١٤- راجع ذيل الأمالي .

١٥- راجع ترجمة الأصمعي الذي ولد ١٢٢ أو ١٢٣ هـ وتوفي في ٢١٤ أو ٢١٦ أو ٢١٧ هـ في القفطي . أنباه الرواه على أنباه النحاه . ص ١٩٧ ، ابن الأنباري . نزهة الألباب في طبقات الأدباء ص ٧٤٢ . الزبيدي طبقات النحويين و اللغويين ص ١٦٧ : ١٧٤ ، ابن النديم . الفهرست ص ٨٢ ، أبو سعيد السيرافي . أخبار النحويين البصريين و مراتبهم و أخذ بعضهم عن بعض ص ٧٢ : ٨٠ ، أبو الطيب اللغوي ص ١٤٧ ، ابن قتيبة . المعارف ص ٥٤٣ ، السيوطي . بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاه ص ١١٢ ، ١١٣ .

١٦- ابن رشيقي . العمدة ج ١ ، ٧٨ ، ٧٩ .

١٧- الغدادي . خزانة الأدب ١ / ١٠ ، ٦١ — ٥٥ / ٢ — ١٦٣ / ٤ ، ٥٣ ، ٥٤٥ .

١٨- راجع د . عز الدين اسماعيل . المصادر الأدبية و اللغوية في التراث العربي ص ٨٦ .

١٩- راجع المسعودي . مروج الذهب ٤ / ٧٤ و المرزوقي . شرح ديوان الحماسة ١٢

٢٥٥ /

الصفحة	الموضوع
٥	تقديم بقلم الأستاذ الدكتور / زين الخويسكى
٧	مقدمة
٩	الفصل الأول مصادر علوم القرآن والتفسير
	١- الجامع لأحكام القرآن لأبى عبدالله محمد بن أحمد
١٣	الأنصارى القرطبي
٢١	هوامش
	٢- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى
٢٣	وجوه التأويل للأمام / محمود بن عمر الزمخشري
٣١	هوامش
	٣- تفسير البحر المحيظ لمحمد بن يوسف الشهير بأبى حيان
٣٣	الأندلسى
٤٣	هوامش
	الإتقان فى علوم القرآن الحافظ جلال الدين عبد الرحمن
٤٥	السيوطى
٥٧	هوامش
	الفصل الثانى
٥٩	١- مصادر المكتبة العربية فى اللغة والنحو والمعاجم
٧١	هوامش
٧٣	٢- منظومة ابن مالك و"الافية" وشرح ابن عقيل عليها
٩١	هوامش
٩٣	دراسة المعاجم العربية وأنواعها
٩٩	هوامش
١٠١	٢- من المعاجم العربية أولا لسان العرب لابن منظور

١١٣	هوامش
١١٥	ثانيا: حياة الحيوان الكبرى للدميري
١٢١	هوامش
١٣٣	الفصل الثالث: مصادر الأدب والنقد والبلاغة
١٤١	هوامش
١٤٣	أولا: الحيوان للجاحظ
١٥١	هوامش
١٥٣	٢- كتاب البخلاء للجاحظ
١٦١	هوامش
١٦٣	٣- آمالي أبي علي القالي
١٧٧	هوامش
١٨١	٤- كتاب الكامل للمبرد
١٩١	هوامش
١٩٣	الفصل الرابع مصادر الشعر العربي القديم
٢٠٥	هوامش
٢٠٧	الفهرس

03

Bibliotheca Alexandrina



0259946